Абу Наср 'Абд ан-Насир ал-Курсави. Китаб ал-наса'их

Абу Наср ‘Абд ан-Насыйр ал-Курсави (1776-1812). Выдающийся богослов, шайх братства Накшбандиййа-муджаддидиййа, автор ряда произведений на арабском и татарском языке в области исламского вероубеждения (*‘акида*), права (*фикх*) и коранической экзегетики (*тафсир*). Большинство его работ сохранилось лишь в рукописях.

شرح جديد للعقايد

تأليف المجدد ابو النصر عبد النصير بن ابراهيم القزاني البلغاري رحمه الله الباري

\1a\

[بسم الله الرَّحمن الرَّحيم]

الحَمْدُ لله الَّذي أنعم علينا وَ هَدَانا لِلإسْلاَمِ و الصَّلاةُ و السَّلامُ علي محمّد خير الانامِ وَ علي آله وَ أصْحابِهِ الّذينَ فازُوا بالاسْتسلامِ وَ علي الَّذينَ اتّبعواهم في علومِهم و شِيَمِهِم الهَادية الي دَارِ السَّلامِ صَلوةً كافِيَةً مُتَوَارِدَةً إلي القيامِ

امَّا بَعدْ فيقول العَبدُ الفقيرُ إلَي رَبِّهِ الغنِيِّ أبو النصر عَبْد النَّصير ابْن ابراهيمُ البلغَاريّ الحَنفيّ الحَنِيفيّ: لما كان المختصرُ المسَمَّي بالعقايدِ النَّسفي للإمامِ الربَّاني نجمِ الملَّة و الدِّين عُمر النَّسفيّ مشتملاً للمَطالبِ العِلْميَّةِ و القَواعِدِ اليقينِيَةِ و شرح المحَقِّق التَّفتازاني وَ اِنْ كَانَ جَامِعاً لِتحريراتٍ و تدقيقاتٍ و غير خالٍ عن تحقيقاتٍ إلاَّ أنَّ أكثرَهاَ مَبْنِيَّة علي القواعدِ الفَلسَفيَّةِ و الأهْواءِ العقليَّةِ و الفنِّ ممَّا لا يُؤْمَنُ فِيهِ مِنَ الأغَاليطِ و تمَْوِيهَاتِ الأوهامِ الا باتباع الكتاب و السنة و لا يهتدي إلي سواء سبيل مآربه إلا باقتفاء الجماعة

\1b\

الجماعة. و لذلك يسمي الناجية من الفرق بأهل السنة و الجماعة. و هو غفره الله تعالي كثيرا ما يتعصب لمذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري. و قد تقرر في الفتاوي الحنفية أن أصحابنا من أهل السنة أخطئوه في بعض المسائل. رأيت أن أشرحه شرحا يبين سبل السلف و يقيم ما انقض بعض الخلف لينتفع به أولوا الالباب و يكون تذكرة للأحباب.

اعلم أيها السالك لسبيل الحق أجمع السلف علي أن علم التوحيد هو أصل الواجبات و أساس المشروعات و اشرف العلم تبعا للمعلوم. و طعنوا في الكلام و منعوا عنه حتي قال القاضي الإمام أبو يوسف رحمه الله: "العلم بالكلام جهل و الجهل علم". قالوا أراد بالجهل به اعتقاد عدم صحته فإن ذلك علم نافع. أو أراد (بالكلام) به الإعراض عنه و ترك الالتفات إلي اعتباره. فإن ذلك يصون علم الرجل و عقله. و قال الشافعي رحمه الله: "لاأنْ يلقي الله تعالي العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من أن يلقاه بشيء من الكلام". و ذكر أصحابنا الحنفية في الفتاوي أنه لو أوصي لعلماء بلده لا يدخل المتكلمون. و لو أوصي أن يوقف من كتبه ما هو من كتب العلم. فاتفق السلف أنه يباع ما فيها من كتب الكلام. فليس المذموم عين المحمود. و ليس علم التوحيد و الصفات هو علم الكلام بل علم التوحيد و الصفات هو ما بينه الصحابة و التابعون رضوان الله عليهم أجمعين. و كيف يظن لهم رضي الله عنهم أن يهملوا ما هو أصل الواجبات و أساس المشروعات و قد بذلوا جهدهم لإتمام المعروفات

\2a\

و إطفاء نائرة المنكرات.

و علم الكلام هو علم الذين يخوضون في الفلسفة و أهوائهم بل يزعم -------- منهم رجحان ما اخترعوه بمحض عقولهم علي الكتاب و السنة و لا يجوّزون أن يثبت بدليل الشرع ما لا يدركه العقل. و قد جاء في حديث ابن عمر عن رسول الله صلي عليه و

سلم: "لا يؤمن أحدكم حتي يكون هواه تبعا لما جئت به". و لما كان أهل الحق عبارة عن الصحابة و التابعين و الذين اتبعواهم و لا يدرك العبد لصفاء العقيدة إلا ببركة الاتباع لمن صحب النبي عليه السلام أو قرب عهده بزمانه.

قال المصنف رحمه الله

قال أهل الحقّ ليظهر اتباعه و لا يتوهم ابتداعه. عن عبد الله ابن عمر قال قال رسول الله صلي الله عليه و سلم: "ليأتين علي أمتي كما أتي علي بني اسرائيل حَذوَ النعل بالنعل حتي إنْ كان منهم من أتي أمّه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك و إن بني إسرائيل تفرقت علي اثنتين و سبعين ملة و تفترق أمتي علي ثلث و سبعين ماة كلهم في النار إلا ملة واحدة" قالوا: "من هي يا رسول الله؟" قال: "ما إنا عليه و أصحابي" رواه الترميذي. و عن ابن عباس رضي الله عنهما: "تكفل الله لمن قرأ القرآن و عمل بما فيه بأن لا يضل في الدنيا و لا يشقي في العقبي" ثم قرأ: "فمن اتبع هداي فلا يضل و لا يشقي" . فالفرقة الناجية هم المتمسكون بالكتاب و السنة و المجتنبون عن الهوي و البدعة و الملتزمون طريق السنة و الجماعة الذي كان عليه الصحابة و التابعون و مضي عليه

\2b\

عليه السلف الصالحون. و هو الذي أدركنا عليه مشايخنا و مضي عليه سلفنا كأبي حنيفة و مالك ابن انس و أبي يوسف القاضي و محمد ابن حسن الشيباني و الشافعي و أبي منصور الماتريدي رضوان الله عليهم أجمعين. فمن اهتدي بهديهم يخرج عن حضيض التقليد و يهتدي سواء السبيل. إذ هم أمة لا يجتمعون علي الضلالة بل لا يزال إجماعهم علي الهداية. و قد ورد: "لا يجتمع أمتي علي الضلالة".

فليس كل من لم يشتغل بالمجادلات الكلامية كان مقلدا بل ---- انَّ الكتب الكلامية كالتجريد و المواقف لم يعد أصحابهم شيئا من التحقيق. لا يقال أن أهل البدعة يستدلون بالقران كما أن اهل السنة يحتجون به عند البيان. لانّ نقول سبب الضلالة عدم الاستدلال به علي وجه الكمال. فإن أهل الأهواء تركوا الأحاديث النبوية و الآثار الصحابية التي هي مبينة للمقاصد القرانية. و في القران: "وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا" و فيه: "وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ" .

فمدار اختلاف العقيدة اختلاف الارآء و الأهواء التي جُبِّلَت نفوس الإنسان عليها و لذلك تكرَّر في القران منعهم عن اتباع أهوائهم قال تبارك و تعالي: "وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ" و قال تعالي: "أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ" و قال تعالي: "أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم " . و مدار صحة العقيدة

\3a\

اتباع الكتاب و السنة و إجماع الأمة. و من أسس قواعد العقايد بهذه الجملة فقد استمسك بالعروة الوثقي لا انفصام لها. و هذه سبيل أرباب العقول و كيف يظن الوصول إلي علم الأصول بدون الاقتفاء بما جاء به الرسول.

و العقل و إن اهتدي في بعض الأحكام لكنه بدون الموازنة بالشريعة لا يحصنّ الاعتداد و الإِحكام. و هذه كانت طريقة السَّابقين الأوَّلين و هي طريقة التابعين و مَنْ بعدهم من الأئمة المجتهدين و المفسرين و المحدثِّين و عمدة الصوفية كداوُد الطائي و معروف الكرخي و جنيد البغدادي و أبي إسحاق الكلابادي و سلطان العارفين بهاء الملَّة و الدِّين البخاري إلي أن خلف من بعدهم خلف أضاعوا اصباح الإتباع بالشرع و مصباح الاقتفاء ---- بالمتبعين للشرع. و اتبعوا شهوات الإصغاء إلي كلام الفلاسفة و أتباعهم مع أن جميع العقايد ثابتة و محققة في الكتاب و السنة و إجماع فقهاء الأمة.

حقايق الأشياء ثابتة و العلم بها محقق خلافا للسوفسطائية حقيقة الشيء نفسه و الشيء بمعني الثابت الموجود. و معني الكلام أن ما نعتقده حقايق الأشياء إمَّا بالعيان أو بالبيان فهو شيء و ثابت في الواقع. و العلم تبين الشيء كما هو يعني العلم بثبوت كل ما

نعتقده شيئا بأحد الوجهين ليكون ردا لمن ينكر ثبوت الأشياء. و من ينكر العلم بثبوتها و لا بثبوتها. و في انكار العلم بثبوت الأشياء إنكار العلم بالرسالة

\3b\

بالرسالة و الشريعة. و في إنكار ثبوتها إنكار ثبوتهما. قول الصوفية بانعدام الأشياء عينا و أثرا محمول علي انعدامها من جهة ذاتها لا علي انعدامها مطلقا. فانهم قالوا أن كل ما يعبَّر عنه إمَّا باطل مطلقًا و إمَّا حق مطلقًا و إمَّا حق من وجه و باطل من وجه. فالممتنع لذاته هو الباطل مطلقًا و الواجب لذاته هو الحق مطلقا. و الممكن لذاته الواجب لغيره هو حق من وجه و باطل من وجه. فهو من حيث ذاته لا وجود له فهو باطل من هذا الوجه. و هو من جهة غيره مستفيد للوجود و هو من هذا الوجه الذي يلي مفيد الوجود موجودٌ فهو من ذلك الوجه حق. فكل شيء هالك إلا وجهه. و هو كذلك أزلاً و أبداً ليس ذلك في حالٍ دون حالٍ لأن كل ما سواه سبحانه أزلاً و أبداً من حيث ذاتِهِ لا يستحقُّ الوجود. و عن هذا يُعرَفُ أنَّ الحقَّ المطلقَ هو الموجود الحقيقي بذاته الذِّي يوجد كل حقيقة. و العبد و إن كان حقًّا بنفسه فليس هو حقًّا بنفسه بل هو حق بغيره و هو الله تعالي. و أهل التصوف لما كان الغالب عليهم رؤية فناء أنفسهم من حيث ذاتهم و ملاحظة ربهم بالبقاء عَبَّرُوا عما هو هالك في نفسه بانعدامه عينًا و أثرًا و نظرًا إلي ذاته و لذلك لا يلتفتون إلي سواه و لا يرجون و لا يخافون إلاَّ اياه. أو يُحمَل علي انعدامها من جهة الشهود لا الوجود كما قالوا أن الممكنات تتواري من نظر السالكين كتواري الذَّرات عند إشراق الشمس و سمَّوه بالفناء في التوحيد و لا يفهم من كلامهم مدلوله الظَّاهر و من تمسَّك

\4a\

بظاهر كلامهم فقد غلط لأنَّ كلامهم رموز و التمسك يتوقف علي فهم المراد و المراد غير المفهوم من الظّاهر. و المفهوم من الظّاهر غير مراد. و قصدهم من الرَّمز تفهيم من هو أهل له و المنع عمن هو ليس بأهله لئلا يمنعوا العلم عن أهله فيظلموهم و لا تضعوا عند غير أهله فيظلموه. و كذلك قالوا لا ينبغي أن يطالع كتب الصوفية إلا من رسخ في الشرايع قدمه و قوي في الحقايق ذهنه و إلا هو أوقعته في ضلال لم يكن من الخروج.

و أسباب العلم للخلق ثلاثة يعني أسباب العلم الكسبي للخلق منحصرة في أقسام ثلاثة . و أمّا العلوم الوجدانية و العلوم الحاصلة ببداهة العقول و الحدسيات و نحوها فضروريات لا اكتسابيات

الحواس السليمة و الخبر الصادق و العقل أي نظر العقل. و أما الكهانة و التنجيم و التقليد و نحوها فليس بشيءمنها سببًا للعلم. أما الكهانة فقوله صلي الله عليه و سلم: "من أتي كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل علي محمد". و المنجم إن إدعي العلم بالحوادث الآتية فهو مثل الكاهن و في معناه الرمال. و أما التقليد فلأنّه تعالي رد علي المقلدين بقوله: "أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ" . و لأنه يعارض بمثله فإنه إذا قال أن ما أقوله حق لأن فلانا قائل --- بحقيقته فخصمه يقول أنه ما تقوله باطل لأن فلانا قائل ببطلانه

\4b\

ببطلانه. و إيمان المقلد صحيح في القول المختار من الحنفية و الشافعية لا لكونه مقلدا بل لأنه وقع تصديقه حقا باعتبار صحة مذهب إمامه فوجد ماهيته بكمالها في حق من التصديق الجازم بلا ريب. و أما من اعتقد و جعل ذلك قَلَادَة في عنق الداعي له اليه علي معني أنه إن كان حقا فحق و إن كان باطلا فوباله عليه -------.

فهذا المقلد ليس بمؤمن بلا خلاف لأنه شاكٌّ في إيمانه. و أجمع العلماء علي أن المقلد عاص بترك الاستدلال. قال القاضي الإمام أبو زيد الدبوسي: "التقليد رأس مال الجهل و به يبدّل الدّين". و أما الاستدلال فقال بعضهم ليس الشرط أن يعرف كل المسائل بالدليل

.العقلي بل إذا بني اعتقاده علي قول الرسول صلي الله عليه و سلم بعد معرفة بدلالة المعجزة أنه صادق فهذا القدر كاف
و قيل معرفة مسائل الاعتقاد كحدوث العالم ووجود الباري و ما يجب له و ما يمتنع عليه من أدلتها فرض عين علي كل مكلف فيجب النظر و لا يجوز التقليد. و المراد بالنظر النظر بدليل اجمالي. أما النظر بدليل تفصيلي يتمكن معه من إزالة الشبه و إلزام المنكرين و إرشاد المسترشدين ففرض كفاية بشرط عدم الخروج من مضمون الكتاب و السنة و لا ينبغي الاشتغال به إلا للمتجرد للعلم صاحب الفطنة و الفصاحة بشرط أن يكون في طبعه الصلاح و التقوي. و أمّا التقليد في الفروع الشرعية للعوام و المتفقهة الذين لم يبلغوا درجة الاجتهاد فيحل في القول المختار من الحنفية و الشافعية و لكن عليهم أن

\5a\

.يقلدوا من هو أعلم و أورع عندهم
فإن قيل إذا لم يكن التقليد سببًا للعلم فما معني قولهم دليل المقلد قول المجتهد؟ قلنا هذا في الفروع الفقهية و هي من الظنيات. و المراد بالعلم ههنا هو الاعتقاد الجازم الثابت المتيقن به. و أما المسائل التي قد ظهر نزول الوحي بها و التي انعقد الإجماع عليها فهي قطعية و دلائلها قطعيات.
فإن قيل قوله تعالي: "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ" يدل علي أنَّ ما لا يعلم لا يعمل به فكيف يعمل بالفقه الظني؟! قلنا أن الحكم و إن كان ظنيا علي معني أنه يحتمل الصواب و الخطأ لكن وجوب العمل به و كون العامل مأجورا بعد تفريغ الوسع لتحصيله قطعي لقوله صلي الله عليه و سلم: "اختلاف أمتي رحمة" و لقوله: "من اجتهد فأصاب فله أجران و من أخطأ فله أجر واحد" و لقوله تعالي: "وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ" . فقالوا أن النهي منه مخصوص بالتفرق في الأصول كالتوحيد و التنزيه و أحوال الآخرة دون الفروع.
و العقل يطلق علي الوصف الذي به يفارق الإنسان سائر البهايم و يستعد لقبول العلوم النظرية و تدبير الصناعات الخفية الفكرية. و هو الذي أراده الحارث المحاسبي حيث قال في حد العقل أنه غريزة يهيأ بها درك العلوم النظرية. و قد يطلق علي العلوم التي تخرج إلي الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجايزات و استحالة المستحيلات كالعلم بأن الإثنين

\5b\

الإثنين أكثر من الواحد و أن الشخص لا يكون في مكانين في حالة واحدة . و قد يطلق علي العلم بالأمور علي وجه يقمع الشهوة المايلة إلي اللذات العاجلة و يقهر بها فإذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا من حيث أن أقدامه و أحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة. قالوا و هو المراد بقول رسول الله صلي الله عليه و سلم لأبي الدرداء: "ازدد عقلا تزدد من ربك قربا" فقال: "بأبي أنت و أمي و كيف لي بذلك؟" فقال: "اجتنب محارم الله و أَدِّ فرايض الله تكن عاقلا و اعمل بالصالحات تزدد في عاجل الدنيا رفقة و كرامة..."
فالحواس خمس: السمع و البصر و الشم و الذوق و اللمس و بكل حاسّةٍ منها توقف علي ما وضعت له يعني علي الشيء الذي وضعت تلك الحاسة من الحواس الخمس المذكورة لإدراك ذلك الشيء. و لا مانع من إدراك حاسة ما يدرك بالحاسة الأخري إذا لكل بخلق الله تعالي و هو علي كل شيء قدير. حتي جوزوا رؤية كل من الأصوات و الطعوم و الروايح و غير ذلك. و جوزوا رؤية أعمي الصين بُقعَةَ أندلس و إنما لا يري بناء علي أن الله تعالي لم يخلق في العبد رؤيتها. و صرح بعض العلماء من أهل التحقيق بأن الأشياء يتواري عن نظر قلب السالكين باستيلاء الذكر و يتواري عن قلبه علمه بتواري الاشياء

\6a\

.أيضا. و يدرك الأشياء بجوارحه الجامدة فيأخذ جوارح المجاهرين حكم قلوب القاعدين. فضل الله المجاهدين علي القاعدين درجات
و الخبر الصادق علي نوعين أحدهما الخبر المتواتر و هو الخبر الثابت علي أَلْسِنَة قومٍ لا يتصور تواطُؤُهم علي الكذب. و عدد المخبرين

في التواتر غير منحصر في عدد مخصوص. و ضابطه ما يحصل العلمُ عنده فبحصول العلم الضروري يستدل علي أن العدد الذي هو كامل في علم الله تعالي قد توافقوا علي الأخبار لا أنا نستدل بكمال العدد علي حصول العلم.

و المراد بالعلم المعرفة الحقيقية التي لا يشك فيها و لا يتصور التشكيك. و أما ميل النفس إلي التصديق بشيء بحيث يغلب عليها و لا يخطر بالبال نقيضه و لو أحسن التأمل و الإصغاء إلي التجويز لأبت النفس عن تصديقه لعدم كونه عن معرفة محققة فهذا يسمي تقليدا و اعتقادا مقارنا لليقين. و هو اعتقاد العوام في الشرعيات رسخ في نفوسهم بمجرد السماع حتي أن كل من ---- شق بصحة مذهبها و إصابة إمامها و متبوعها. و لو ذكر لأحدهم إمكان خطأ متبوعه لتَنَفَّر عن قبوله لأنفة نفسه بقبول متبوعه. و هذه درجتهم و حدهم. و لكن من كان

\6b\

كان سجيَّته اليقين لا يطمئن بشيء من غير إتقان بضرورة أو برهان و كثرة المخبرين بحيث لا يعلم عددهم و عدالتهم و تباين ------- اشد تأثيرا في دفع إمكان التواطؤ و أقطع للاحتمال و أظهر في إلزام الخصوم لا انها شروط حقيقة بحيث يتوقف ثبوت العلم بالتواتر عليها بل الشرط حقيقة ما ذكره المصنف رحمه الله.

و هو بالضرورة يوجب العلم الضروري كالعلم بالملوك الخالية في الأزمنة الماضية و البلدان النائية

هذا مذهب جمهور العقلاء ذو هبت السُّنمتيّة و هم قوم من عبدة الأصنام و البراهمة و هم قوم من منكر الرسالة بأرض الهند إلي أن الخبر لا يكون حجة أصلا بل يوجب ظنا. أما إيجابه العلم بالضرورة فلأن إيجاب الأخبار بوجود مكة كإيجاب الحس للعلم بوجود الشمس من غير فرق. و نجد المعرفة بجهة الكعبة اخبارا مثلها بجهة منازلنا إحساسا و المنكر مكابر. و أما كون العلم الحاصل به ضروريا فلأنه لو كان استدلاليا لاختص به من يكون من أهل الاستدلال و قد رأينا أنه لا يختص بهم. فإن كل واحد في صغره يعلم أباه و أمه بالخبر كما يعلمهما بعد البلوغ مع أنه لا يعرف الاستدلال أصلا. و العلم

\7a\

بالملوك الماضية و البلدان النائية يحصل من غير استدلال و صنع من جهة العالم. و هو حد العلم الضروري و من يخالفنا فيه فإنما يخالف بلسانه أو حبط عقله و لو ترك ما علم ضرورة لمخالفة المخالف للزوم ترك المحسوسات بسبب خلاف السوفسطائية.

و النوع الثاني خبر الرسول المؤيد بالمعجزة و هو يوجب العلم الاستدلالي

أما كونه موجبا للعلم فلوجوب صدق من أظهر اللهُ المعجزةَ في يده لبيان صدق جميع ما أتي به من الأحكام. إذ لو جاز كذبه لبطل دلالة معجزته في الأمور التبليغية. و أما في غيرها فلثبوت عصمته عن الكذب. و أما كونه استدلاليا فلأنه يحصل باستحضار أن خبر من ثبت رسالته بدلالة المعجزة و كل خبر ممن شأنه هذا فهو صادقٌ و مضمونه واقع. و لو قيل هذا إنما يكون في المتواتر فيرجع إلي القسم الأول يقال إنما ثبت بالتواتر هو كونه خبر الرسول لأن كونه قولا للرسول هو الذي تواتر به الأخبار. و أما ثبوت مضمونه بعد العلم بأنه خبر الرسول بأن يسمع من نفسه صلي الله عليه و سلم أو تواتر عنه ذلك فإنما يحصل لكون مخبره موصوفا بالرسالة لا لكونه منقولا عنه بالتواتر.

و العلم الثابت به أيضاهي العلم

\7b\

العلم الثابت بالضرورة في التيقن و الإثبات

كالمحسوسات و البديهيات و الحدسيات و هذا رد لفرقة من الناس حسبوا أن الدلائل الشرعية لا تفيد اليقين. و إنما الاعتبار للعقل و الشرع إن وافق العقل يقبل و إلا يصرف و يؤول إلي المعقول. و قالوا أن في تقديم الشرع علي العقل إبطال للأصل بالفرع لأن النقل لا يمكن إثباته إلا بالعقل و هم المعتزلة و فرقة من الأشعرية.

و قد اتضح لأهل البصائر و العقول السليمة أن العلم اليقيني الذي لا ريب فيه يعبر اقتنائه بالقانون الفكري و البرهان النظري . و الظفر بمعرفة الأشياء من طريق البرهان العقلي و حده متعذر في أكثر الأمور. و إن لتحصيل المعرفة الصحيحة طريقين طريق البرهان بالنظر و الاستدلال وطريق البيان الحاصل من جهة الشرع و تلقته بصيغة الباطن و الالتجاء إلي الحق سبحانه. و الحال في طريقة النظر قد استبان بما إسلفنا فتعين الطريق الأخر. و قد ذهب ابن سينا الذي هو أستاذ أهل النظر و مقتداهم عند عثوره علي هذه السر إلي أنه ليس في قدرة البشر الوقوف علي حقايق الأشياء بل غاية الإنسان أن يدرك خواص الأشياء و لوازمها و عوارضها. هذا في المصنوعات فكيف فيما يرجع إلي الصانع و لذلك قال الشبلي رحمه الله تعالي:

\8a\

كل ما ميزتموه بأوهامكم و أدركتموه بعقولكم فهو مردود إليكم محدث مصنوع مثلكم". فمذهب أهل السنة و الجماعة تقديم النقل " علي العقل بمعني أن ما ثبت بنص كتاب أو متواتر سنة أو إجماع أمة من السلف الصالح و فقهاء الأمة يجب الإيمان به و ترك الجدال و المراء عليه سواء أحاط به العقل أو لم يحطه. كمسئلة الرؤية و ثبوت اليد و الوجه لله تعالي من غير تشبيه و لا تعطيل. و في الحقيقة أن من أنكر طورا فوق العقل فقد أنكر النبوة و تبني بالعقل. فهل يُظن من الحكمة ترجيح الهوي علي الوحي و قد مدح الله حبيبه بقوله: "وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ" و ذم أعدائه بقوله: "إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ" .

و أدلة الشرع هي التي استندت إلي الوحي المفيد حق التيقن. و التأييد الإلهي المورث لعين اليقين المنزه عن هواجس الوهم و وساس اللعين بخلاف العقلايات الصِّرفة فانها لا تخلو عن معارضة الوهم و الخيال و لا تصفوا عن كدر القيل و القال. و لذلك اتفقوا علي أن اعتداد الاعتقاد بالأحكام يتوقف علي الأخذ من الشرع للأحكام قولهم: "ان تقديم النقل علي العقل إبطال للأصل بالفرع". أقول لئن سلَّمنا كونَ العقلِ الموافقِ بالنقل أصلاً للنقل فلا سُلِّم

\8b\

سلم بطلان. إبطال العقل المخالف للنقل بالنقل. فإن قيل العقل حجة لا يقبل التأويل و النقل يحتمله فلا بد لثبوت النقل من انتفاء المعارض العقلي. قلنا عدم المعارض العقلي يُعلَم من صدق المخبر. و العقل كالشرع حجة الله علي الناس و لا تعارض بين حجج الله تعالي في الحقيقة. و لكن قد يقع الالتباس بين القضايا الوهمية و العقلية فيتوهم التعارض مع عدم التعارض في الواقع. و لا يستقلّ العقل بالوقوف علي جميع ما يثبته الشرع و إلا لما احتاج العقلاء إلي إرسال الرسل و إنزال الكتب. قال ابن عطاء: "العقل آلةٌ أعطيت للعبودية لا للاشراف علي الربوبية". و إنما حده إثبات ما أثبته الشرع من غير تشبيه و لا تعطيل. فغاية افتتان من يظن أن العقل قد يخالف لما أثبته الشرع فيحب تأويله علي ما يوافق العقل. إنه يتوهم وصفا فيما أثبته الكتاب زائدًا علي الكتاب. فعقله يخالف لما أثبته وهم لا لما أثبته النقل مثلا يزعم أن اليد لا يكون إلا جارحة. و العقل يُنفِي الجارحة لا اليد اللائقة لكبريائه تعالي. فثبوت اليد لا يخالف لما ينفيه العقل من الجارحة الزائدة علي الكتاب و إنما يخالفه ثبوت الجارحة. و هو تعالي يتنزه عن الجارحة و كذلك ثبوت الصفات الحقيقية له تعالي لا يخالف لما نفاه العقل من امتناع تعدد القدماء. و إنما يخالفه تعدُّد الصفات الزائد علي الكتاب. و المعتزلي يزعم

\9a\

أن ثبوت الصفات يستلزم التعدُّد و التعدد محال عقلاً فكذلك ثبوت الصفات الحقيقية. ونحن نقول أن الصفات التي جاءت بها الشريعة ثابتة مع نفي التشبيه و الماهية و نفي الجنس و الكيفية لكنها مقدسة عن الكمية و القلة و الكثرة.

فإن قيل فعلي ما ذكرت من لزوم التصديق و التسليم و الاعتراف بالعجز علي من لا يعرف معاني النص علي الوجه المعقول يلزم أن لا يجوز تأويل المتشابهات أصلا و قد تأولها قوم من أهل السنة.

قلت إن للعلماء في الآيات و الاخبار المتشابهة مذهبان أحدهما توكيل علمها إلي الله و رسوله. و القدوة فيه ابو بكر و عمر و عبد الله بن مسعود و معاذ بن جبل و سلمان رضي الله عنهم و هذا مذهب كثير من العلماء و في الحديث: "ما التبس عليكم فكلوه الي عالمه" . و ثانيهما تأويلها علي ما يليق بالله و رسوله من غير تشبيه و لا تعطيل بانتزاع التأويل من الكتاب و السنة و إجماع فقهاء الأمة. و القدوة في هذا المذهب بعلي و ابن عباس رضي الله عنهم. هكذا ذكره الشيخ أبو إسحاق الكلابادي في بحر المعاني و في التنزيل."وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ" . قالوا في تفسيره: و ما احتلفتم فيه من تأويل متشابه فارجعوا فيه إلي المحكم من كتاب الله فليس

\9b\

في التأويل الذي صدر منهم تعطيل النقل بمجرد العقل بل تأويلهم إرجاع نص متشابه إلي نص معقول أو مجمع عليه. بل يقول أنّ التأويل الذي سلكوا به هو حمل الكلام علي المحتمل بلا جزم و لا بالمراد قطع ممانعة لمن يشبِّهه تعالي تمسُّكا بالظّاهر النص لا تعطيل ما وصف الله تعالي به نفسه أو وصفه به رسوله صلي الله عليه و سلم. فأعلم قطعًا أن هذه الألفاظ أاُرِيدَ بها معاني يليق إليه تعالي و ان ما وصف الله به نفسه او وصفه به رسول الله صلي الله عليه و سلم فهو كما وصفه و حق بالمعني الذي اراده و إن كنا لا نقف علي حقيقته. و في تحقيق الحسامي حكم التشابه التوقف علي اعتقاد ---- المراد يعني لا يمكن أن يحكم بشيء في المتشابه أنه هو المراد بل يعتقد فيه علي الابهام أن ما أراد الله تعالي منه حقٌ. و هو مذهب عامّة الصحابة و التابعين و عامة متقدمي أهل السنة من أصحابنا و أصحاب الشافعي و هو مختار القاضي إمام أبو زيد و فخر الإسلام و شمس الأئمة.

و جماعة من المتأخرين قالوا أنَّ الوقف علي قوله عز و جل "إلاَّ الله" واجبٌ. و أن قَولَه "و الرَّاسخون" ثناء مبتداءٌ من الله تعالي عليهم بالإيمان و التسليم بأن الكل من عنده بدليل قراءة عبد الله ابن مسعود رضي الله تعالي عنه: إنْ تأويله إلا عند الله. و قرأة أبَي و ابن عبّاس في رواية طاوس عنه: "و يقول الراسخون في العلم آمنًّا به". و لأنه تعالي ذم من اتبع المتشابه ابتغاء التأويل كما ذمَّ من اتبع ابتغاء الفتنة بأنْ يُجْرِيَه علي الظاهر من غير تأويل

\10a\

و مدح الرَّاسِخُون بقولهم "كلٌ من عند ربنا" و بقولهم "ربَّنا لا تُزِغْ قلوبَنا بعد اذ هَدَيْتَنا" أي لا تجعلنا كالذين في قلوبهم زيغ فاتبعوا المتشابه مؤولين أو غير مؤولين. فدل هذا علي أن الوقف علي قوله تعالي "إلا الله" لازم. و روي عن عائشة رضي الله تعالي عنها أنها قالت: "تلي رسول الله صلي الله عليه و سلم هذه الآية و قال: إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّاهم الله تعالب فاحذروهم". فأمر بالحذر من غير فصل بين من اتبع لابتغاء الفتنة و بين من اتبع لا لابتغاء الفتنة فيتناول الجميع، هذا كلامه. و لا يخفي علي العاقل ما في تأويل أهل الكلام من فتح باب الضلال و لذلك صارت المعتزلة و من يحذو حذوهم أئمة الضلالة و الغواية و حملوا كثيرا علي الإلحاد و الزندقة.

و أما العقل فهو سبب للعلم أيضًا

أكَّد بذكره ردًّا علي من قال أنَّ معرفة الله لا يحصل بدون المعَلِّمِ الذي هو الإمام المعصوم. قلنا استلزام العلم بأن العالم محدث و لا بد للمحدث من محدث العلم بأن العالم لا بد له من محدث ضروري لا يحتاج إلي البيان. فإن زعموا أن حصول بدون المعلم مسلم لكن لا يفيد النجاة ما لم يؤخذ من المعلم كما يقال أن العقل يجب أن يأخذ من الشرع ليعتد بها. قلنا كفي بصاحب الشرع معلما و بالقران إماما. و فيه رد لما ذهب إليه الأشاعرة

\10b\

الأشاعرة من أن حسن المشروعات و قبح المنهيات لا يعرفان إلا بالوحي. و نحن نقول حسن تصديق النبي صلي الله عليه و سلم و قبح مكذبيه يعرف بالعقل ضرورة و إن كان أكثر أحكام الشرع يتوقف علي الوحي. و ذهب بعض الناس إلي أن نظر العقل لا يفيد

العلم مطلقا لتناقض قضياه. قلنا قضايا العقل لا يكون متناقضة. و اختلاف العقلاء لقصور عقلهم أو تقصيرهم في شرايط النظر

و ما ثبت منه بالبداهة فهو ضروري

كالعلم باستحالة الاجتماع بين النفي و الإثبات

و ما ثبت بالاستدلال فهو اكتسابي كالعلم بوجود النار عند رؤية الدخان و الاكتسابي أعم من الاستدلالي لشموله أحد الحسيات و إلهام ليس من أسباب المعرفة للشيء عند أهل الحق هو القذف في القلب من غير نظر و استدلال بحجة. فإلهام الأنبياء حجة عليه و علي غيره لأنه وحي خفي قال عليه السلام: "إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتي تستكمل رزقها فاتقوا الله و أجملوا في الطلب". و أما إلهام غيره فليس حجة أصلا في العلم بصحة أحكام الدين. قال فخر الإسلام: "إلهام ليس بحجة و من قال أنه حجة لا تقبل شهادته". قال

\11a\

الشيخ أبو اسحاق الكلابادي و عن أنس رضي الله عنه قال: "بينا عليه السلام يمشي إذا استقبله شباب من الأنصار فقال النبي عليه السلام: "كيف أصبحت يا حارثة؟" فقال: "أصبحت مؤمنا بالله حقا" قال: "انظر ما تقول فإن لكل قول حقيقة". فقال"يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي و أظمأت نهاري فكأني بعرش ربي بارزا و كأني أنظر إلي أهل الجنة يتزاورن و كأني أنظر إلي أهل النار يتعاونون فيها". فقال: "أبصرت فالزم عبدٌ نوّر الله الإيمان في قلبه". فأخبر في هذا الحديث أن من عمل بما علم نور الله قلبه و من نور الله قلبه كُوشِف عن كثير من أحوال الغيب و علم ما لم يتعلم من جهة اليقين فيما تعلم لا أنه يعلم شيأ من الأحكام من غير اجتهاد في تعلمه حتي يعلم القران و أخبار رسول الله صلي الله عليه و سلم. و أحكام الدين من غير تعلم ليس كذلك. و لكنه يكاشف له و ينهتك بحجب بينه و بين كثير من أحوال القلب و لا تعترضه الشكوك و لا تنازعه الخواطر في الحق. و أما في معرفة آفات النفس و مكايد العدو و فتنة الدنيا و طريق الاحتراز منها فيكون حجة علي أهله لا علي غيره في التعرف. أول ما يلزم العبد بعد أحكام علم التوحيد و المعرفة علي طريق الكتاب و السنة و إجماع السلف الصالح و اليقين بما عليه أهل السنة و الجماعة رضي الله عنهم الاجتهاد في طلب علم الأحكام الشرعية

\11b\

الشرعية و أحكامه من علم الصلوة و الصوم و سائر الفرايض إلي علم المعاملات و المبايعات علي قدر ما أمكنه و وسعه طبعه و قوي عليه فهمه و هذه علوم التعلم و الاكتساب. فالعلم بين جهدين جهد الطلب قبل حصوله و جهد الاشتغال بين حصوله ثم وراء هذه العلوم المشاهرات و المكاشفات. و هو الذي تفردت به الصوفية بعد جمعهم سائر العلوم فمن ارتضت نفسه و تهذب أخلاقها يعرف آفاتها و مكايد العدو و فتنة الدنيا و طريق الاحتراز منها و عم جوارح النفس و حفظ أطرافها و جمع حواسّها فعند ذلك يمكن للعبد مراقبة الخواطر و تطهير السرائر. و أما إلهام من لم يكن بتلك الحالة ليس بسبب علم أصلا لأنه لا يوثق به. إذ الفرق بين الإلهام و الهواجس النفسانية و الوسواس الشيطانية أمر عسير إلا علي المراقبين من علماء الدين

و العَالَمُ هو ما سوي الله تعالي من الموجودات و لا يتناول التعريف صفات الله تعالي لأنها ليست سوي الذات في الوجود كما أنها ليست عينها

بجميع أجزائه علوياتها و سفلياتها آفاقياتها و أنفسياتها محدث أي مخرج إلي الوجود بعد أن كان معدوما

إذ هو --- أعيان و أعراض فالأعيان ما له قيام بذاته أي ممكن يستغني عن محل يقومه و موضوع يحصله

و هو إما مركب و هو جسم يعني يكفي فيه التركيب من الجزئين إذ هما قل ما يتحقق منه التركيب

أو غير مركب

\12a\

كالجوهر و هو الجزء الذي لا يتجزئ أي العين الذي لا يقبل الانقسام الخارجي أصلا. و أما أنقسام المتحيز بالذات و هما ضروري لأن ما منه الي سائر الجهات قطعا و إنما قال كالجوهر علي سبيل التمثيل و لم يقل و هو الجوهر كما يقتضيه المقابلة لعدم تحقق وقوعه و لا يتوقف شيء من عقايد الدين علي ثبوته. و لذلك لم يتكلف أحد من السلف بإثباته. روي أن أبا حنيفة رحمه الله سئل عن الكلام في الأعراض و الأجسام فقال: "لعن الله عمرو بن عبيد هو فتح علي الناس الكلام في هذا."

و ما ذكره المتفلسفون من توقف حدوث العالم علي ثبوته و لزوم قدمه علي انتفائه فهو من عقايدهم التي استمروا عليها بمجرد التقليد علي كلمات جدية قدرها الفلاسفة تعصبا لمذاهبهم و ألقوها اليهم. و ذهب الإمام حجة الإسلام إلي أن الروح الإنساني عين غير مركب مجرد عن الأوضاع و الأبعاد. و هذا أيضا مما لم يتبين بالبرهان. بل قال أبو عبد الله النباحي: "الروح جسم تلطف عن الحس و تكبر عن اللمس و لا يعبر عنه بأكثر من موجود". قال الشيخ ابو إسحاق رحمه الله: "يجوز أن يكون من الحكمة في سر الله عن خلقه ماهية الروح و كيفيته. إنه عز و جل خلق بني آدم علي طبقات و ركب فيهم العقول التي يدركون بها الأشياء و يبحثون عن عوارض الامور. و علم أن منهم من لا يقف حيث وقف به بل إنه يتعدي طورمو يجاوز حده في طلب إدراك ما ليس له من صفات الله و نعوته و البحث عنها بعقولهم. فأظهر الله عجزهم بإحداث

\12b\

بإحداث الروح فيهم و ستر ماهيته و كيفيته عنهم ينبههم بذلك أنهم يعجزون عن ماهية الخلق المحدث. فكيف يبحثون عن إدراك ما لا كيفية له بوجه من الوجوه و كيف يعرفون من لا يقع عليه النواظر و لا يدخل تحت الإفهام و الخواطر. فهم لا يعرفونه حق معرفته و لا يصفونه كنه صفته إلا بما تعرف إليهم من إثباته و توحيده و أوصاف الذات التي جاءت به السنة و الشريعة مع نفي الشبه التشبيه و الماهية و نفي الجنس و الكيفية. ثم سكون القلب و طمأنينة العقل إلي الإيمان بهذا أو التسليم لهذا."

و اعلم --- مما ضل فيه فحول العلماء الحذاق من أهل النظر حكمهم بان حصول العلم بالله تعالي من طريق النظر العقلي غاية السعادات و منتهي الدرجات. و هذا جهل عظيم قد استولي علي الأكثرين من المتجردين للعلم فضلا عمن هو بعد في مهوات بعيدة من الجهل. فإن الوصول إلي هذا العلم من هذا الطريق لا يتفق إلا علي الندور و بعض الأشخاص في آحاد الأعصار و الغالب اغترارهم بظنونهم الغايلة و آرائهم المتناقضة. و الطريق إلي الله عز و جل وعزٌ و سلوكه صعب و فيه ما لا يحصي فيه البحار المغرقة و النيران المحرقة يمتنع وصفها علي الألسن. و كل واحد منهم يظن نفسه أنه من الواصلين إلي الحق و قد عم الضلال جميع --- الخلق إلا من عصمه الله عز و جل بفضله و كرمه حتي اهتدي إلي الصراط المستقيم و المنهج القويم. و علي تقدير حصول العلم فظنهم أن العلم بالمطلوب و صفاته عين الوصول إليه كظن من يظن أن الوقوع في مخلب السبع و العلم بالوقوع واحد و هو بعد في مهوات رياح الضلال في مكان

\13a\

سحيق عن الحلال

و العرض ما لا يقوم بذاته

بل يقوم بموضوع يقومه. و معناه أن يكون وجوده في نفسه و جوده في الموضع بحيث لا يتمايزان في الإشارة الحسية و يمتنع انتقاله منه و حدث في الأجسام و الجواهر

سواء كان جزاءً لا يتجزي أي جوهرا مجردا عن الأبعاد و الأوضاع

كالألوان و الأكوان من الحركة و السكون و الاجتماع و الافتراق

و الطعوم و الروايح. فحاصل البرهان أن العالم مما يتغير و كل ما فهو حادث لأن العالم إما أجسام و الجواهر يحدث لها الأحوال و يتبدل أوضاعها و لا أقل من جواز تبدلها لإمكانها في ذاتها و أحوالها. و كل ما يجوز بتبدلها يكون وجودها في زمان من الأزمنة لكونها

مستمرا في الحالين و لتقدم بعضها علي بعض و ما يكون وجودها في الأزمان يكون حادثا و إلا يلزم عدم تناهي زمان وجودها. فوجودها و إن كان واحدا في ذاته يتكثر بالإضافة إلي ساعات تقررها إلي غير النهاية و وجودها ما لا يتناهي محالٌ عقلا. لأنا لو أسقطنا منها مقدارا متناهيا فالمجموع الساقط منها بهذا المقدار إن بقي مساويا للمجموع يكون الناقص متناهيا و الزايد علي التناهي بمقدار متناه متناه قطعا. فإذا ثبت حدوث الأعيان ثبت الإعراض ضرورة أنها لا تقدم إلا بها. و أما ما يعدم في آن حدوثه و لا يستمر فحدوثه ظاهر. فمن هنا قالوا أن كل ممكن حادث و أن الواجب و القديم

\13b\

و القديم مترادفان و أن الحدوث علة الاحتياج إلي العلة و كل ذلك مما اتفقت عليه أهل السنة و الجماعة. و استدل بعض الأكابر علي حدوث ما سوي الله من الأعيان و الأعراض بأنّ كلّ ما سوي الواجب ممكن. و كل ممكن مفتقر إلي المؤثر و كل مفتقر إلي المؤثر محدث لأن تأثير المؤثر فيه بالإيجاد لا يجوز أن يكون حال البقاء لاستحالة إيجاد الموجود. فبقي إمَّا أن يكون حال الحدوث أو حال العدم. و علي التقديرين يلزم حدوث الأثر.

و النقض بجريانه في الصفات المقدسة مبنيّ علي قول بعض الأشاعرة بإمكان الصفات و صدورها عن الذات بالإيجاب و كون الصفات أمورًا مغايرة كالذات في الوجود. و الحقيقة و إن انكروها بافواههم و سيأتي عليك فساد الكل مفصَّلةً. و أجمع أهل الملة كلهم علي حدوث العالمِ و النصوص ناطقة به. أما الكتاب فكقوله تعالي: "كل شيء هالك الا وجهه" فإن الآية تدل علي أنّ كل موجود فانٍ فيكون معدومًا بالعدم اللاحق. و العدم اللاحق يستلزم العدم السابق. و أما السنة فكقوله عليه السلام: "كان الله و لم يكن معه شيء" فإنه و إن كان ما أخبار الآحاد إلا أن الأمة لما تلقوه بالقبول صار كالتواتر و لا يخالفنا في هذا الحكم إلا بعض الفلاسفة.

و المحدث للعالم هو الله تعالي أي الذات الواجب الذي لا يحتاج وجوده إلي شيء. و وجوده تعالي و إن كان أظهر الأشياء و من ذلك الوجه يستغني عن البيان إلا أنه عسي أن يتشرف بعض العقول الضعيفة علي البيان لمزيد الاستظهار فلذلك حققنا المسئلة

\14a\

بطريق البرهان. فنقول لا بد أن يكون في الوجود موجود قديم و لو لا ه لتعاقب الحادثات إلي غير النهاية. فالمفهوم المتحقق في تلك الأفراد ذاتيا أو عرضيا يحتاج إلي التأثير لإمكانه بالذات أو بالعرض. و تأثيره يستلزم سبق العدم علي تحققه لأنه لا يكون في حال بقائه فهو إما في حال عدم أو حال حدوثه. و سبق العدم عليه يستلزم تناهي أفراده فعدم النهاية باطل و كذا ملزومه. فهذا طريق واضح وافٍ بالمقصود و كثير من أهل النظر سوّدوا أوراقا كثيرة في تلك المسألة و ذلك فضول مستغني عنه.

الواحد إذ لو كان في الوجود إلهان فإما ان يتخالفا و يتوافقا. فعلي الأوّل يلزم اجتماع الضدين أو عجز أحد الإلهين. و علي الثاني يلزم تواردّ القدرتين المؤثرتين في مقدور واحد أو تعطيل أحدهما. و أيضا الشركة نقصان و التفرد كمال. و الإله يجب أن يكون موصوفا بجميع الكمالة و مقدسًا عن أضدادها.

و اعلم أن التوحيد أول فرايض الله و نهاية طاعة و لا يقبل حسنة إلا معه و لا يغفر سيئة إلا بعده. و علم التوحيد أنفع العلوم و أرفعها و تخليصه و تهذيبه هو ----- المقصود الأقصي و المطلب الأعلي. و لكن الآن جعل عبارة عن صناعة الكلام و معرفة طرق المجادلة و سمِّي المتكلمون علماء التوحيد مع أن هذه الصناعة لم يكن يُعرف منها شيء في العصر الأول. و أما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التي يسبق الذهان إلي قبولها فلقد كان ذلك معلوما للكل. و كان العلم بالقرآن هو العلم كلُّهُ و كان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهم أكثر

\14b\

.المتكلمون و إن فهموه لم يتصفوا به

و هو أن يري الأمور كلها من الله رؤية يقطع التفاته عن الأسباب و الوسائط و لا يري الخير و الشر إلا منه. و من ثمراته التوكل و ترك اتباع الهوي في كل ما يتعلق بالعقايد و الأعمال و الأخلاق و الأحوال. و الاستقامة علي الوسط الحقيقي في كل منهما. و كأنَّ .التوحيد جوهر نفيس و له قشر. قشره أن يقول القائل بلسانه لا إله إلا الله و لا يكون في قلبه مخالفة و إنكار لمفهوم هذا القول

و هو التوحيد عوام الخلق و المتكلمين فإذا قال العبد لا إله إلا الله محمد رسول الله و صدّق به فقد نجي من الشرك الجلي و الخلود في الجحيم. و لبه أن يري الأمور كلها من الله و يفوضها إليه و ير ضي بجميع ما جري عليه القضاء. و بينه بقوله: "فاعلم انه لا اله الا الله"

القديم القديم ما لا أول لوجوده و الواجب ما يمتنع عليه العدم. قالوا كل ما هو قديم فهو واجب و استدلوا عليه بأنه لو لم يكن واجبا .لكان جائز فيحتاج في وجوده إلي مؤثر فيكون حادثا

و اعلم أن القديم عند العقل في بادي الرأي يتصور علي وجهين إما بالتحقق في الأزمنة الغير المتناهية إلي حد من جانب السبق. و إما بالتنزه عن الزمان و التغير و الزوال متعاليا عن الاستمرار في الزمان و التعدد بالأحيان و لا يتصور فيه سبق و لحوق و تحول من صفة إلي صفة و امتياز حد من حد. فلا يمتاز فيه الأزل عن الأبد بل هو الأول بلا آخر و هو الآخر بلا أول لكن العقل إذا استضاء بضوء البرهان و أمعن في الملاحظة

\15a\

علم يقينا أنَّ النحو الأول إنما هو من حسبان التخيل لأن استمرار الوجود في الأزمنة لا يتصور إلاَّ بعد تحقق الوجود إذ الاستمرار كون الوجود في الزمان الثاني. فيلزم انقطاع الاستمرار فعلي تقدير عدم تناهيه. و النحو الثاني إنما هو شيآن الواجب القديم إذ كل ما هو .جائز الوجود فهو جائز التبدل. و يتضح بذلك البيان أن كل ممكن محدث و أن الواجب و القديم متساويان

و ما قال بعض الأشاعرة من كون الصفات المتعالية ممكنة و كونها صادقة عن الذات بالإيجاب فاسدٌ و إن ما ثبت قِدمُه أُمتنِع عدمه. .و كلٌ ذلك مما سلك به السلف قي إرشادهم و تعليمهم

فإن قيل إذا لم يكن الصفات ممكنة يلزم أن يكون واجبة فيلزم تعدد الواجب. قلنا إن الصفات ليست أمرًا مغايرًا للذات و لا متغايرةً في أنفسها. و لا يُوصَف ذاتُه تعالي بالوحدة العددية و الإثنينة لأنه مقدس عن كلها لا يليق بجلاله من النقايص الإمكانية. و هو سبحانه و صفاته أعلي من كل وصف يدركه عقل أو وهم أو خيال. و من توهم تعددها و تكثرها في حقايقها استصعب ثبوتها. و ذلك لا لصعوبة في ثبوتها بل لتوهم التكثر فيها. و نحن نثبت أصل الصفات التي أثبتها الكتاب و ننفي الزيادة التي أثبتها التخيل فلا نستصعب شيئا من عقايد الدين و الله هادي إلي سبيل الرشاد. الحي القادر العليم السميع البصير الشائي المريد فهو لا يموت و قادر

\15b\

لا يعجز و عليم لا يجهل لم يزل موجودا بجمع صفاته التي وصف نفسه به مسمي بأسمائه التي سمي به نفسه في كتاب من كتبه الذي أنزل أو علي لسان نبي من أنبيائه الذي أرسل . فهو كما هو بأسمائه و صفاته منزها عن كل وصف يدركه حس أو يتصوره خيال أو .يسبق إليه فهم يختلج به وهم أو يفضي إليه تفكره

ليس بعرض و لا جسم و لا جوهر و الأصل الكلي في باب التنزيه أن ما يتصف به المخلوق يمتنع توصيف الخالق به إلا بنص الكتاب أو سنة رسول أو إجماع أمة لا يجتمع علي ضلالة مع نفي التشبيه و التشريك من جميع الوجوه سوي مشاركة في الاسم فافهم .ذلك فلا يجوز إطلاق الجسم أو الجوهر بمعني الموجود له تعالي

و لا مُصَوَّر الصورة الإلهية الحاصلة من وضع الجبهة و الأنف و الفم و العين و اليد و أرجل و كل ذلك مما يستحيل له تعالي. و ما

ورد في النصوص من إثبات الوجه و العين و اليد و الضحك و القرب و المجيء و النزول و أمثال ذلك فيجب فيه رعاية سبعة وظايف بإجماع الصحابة و التابعين و من بعدهم من السلف الصالحين رضي الله عنهم أجمعين: التقديس و التصديق و الاعتراف بالعجز و السكوت باللسان عن الخوض فيها ثم الإمساك عن التصرف فيها ثم كف الباطن عن البحث و التفكر فيه ثم التسليم لأهل المعرفة.

أما التقديس فهو تنزيه الله تعالي عما يفهم من ظواهر هذه الألفاظ من الجسمية و لوازمها.

\16a\

فعلي العامي و غيره أن يتحقق قطعا و يقينا أن ذلك محال علي الله و هو مقدس عنها. قال الامام حجة رحمه الله في كتابه المقصد الأسني في شرح أسماء الله الحسني في شرح اسمه سبحانه القدوس: "هو المنزه عن كل وصف يدركه حس أو يتصوره خيال أو يسبق إليه فهم أو وهم أو يختلج به ضمير أو يفضي به تفكر و لست أقول منزه عن العيوب و النقايص فإن ذكر ذلك يكاد من ترك الآدب. فليس من الآدب أن يقول القايل ملك البلد ليس بحايك و لا حجام. فان نفي الوجود يكاد يوهم إمكان الوجود. و في ذلك الإضافة نقص. بل أقول القدوس هو المنزه عن مشابهة كل وصف من أوصاف الكمال الذي يظنه الخلق كمالاً في حقهم بل كل صفة يُتصوَّر للخلق فهو سبحانه منزه مقدس عنها و عما يشبهها و يماثلها. و لو لا ورود الرخصة و الإذن بإطلاقها لم يجز إطلاق أكثرها.

و أما الإيمان و التصديق و هو أن يعلم قطعا أن هذه الألفاظ أريد بها معاني تليق بجلال الله تعالي. و إن ما وصف الله تعالي به نفسه أو وصف به رسول الله صلي الله عليه و سلم فهو كما وصفه حقا بالمعني الذي أراده. و إن كنا لا نقف علي حقيقته.

و أما الاعتراف بالعجز فيجب علي كل من لا يقف علي كنه هذه المعاني و حقيقتها و لا يعرف المعني المراد بها أن يقر بالعجز. فإن الصدق واجب و هو في الواقع عن دركه عاجز فإن ادعي المعرفة فقد كذب.

\16b\

و الراسخون في العلم و العارفون من الأولياء و إن جاوزوا في المعرفة حدود العلوم فما بقي لهم مما لم يبلغوه أكثر.

و أما السكوت عن السوال فذلك واجب أيضا علي العوام لأن العامي بالسوال متعرض لما لا يطيقه و حايض فيما ليس أهلا له. فإن سئل جاهلا زاده جوابه جهلا و إن سئل عارفا فأعجز العارف عن تفهيمه لقصور فهمه. فالعامي إذا طلب بالسوال هذه المعاني يجب زجره و منعه كما كان يفعله عمر رضي الله عنه.

و أما إمساك عن التصرف في هذه الألفاظ الواردة فيجب علي عموم الخلق الجمود علي ألفاظ هذه الأخبار و الإمساك عن التصرف فيها بتبديل اللفظ بصفة أخري يقوم مقامها في العربية بالفارسية و التركية. بل لا يجوز النطق إلا باللفظ الوارد و لا يجوز التصريف. و معناه إذا ورد قوله تعالي "استوي علي العرش" فلا ينبغي أن يقال مستوي و يستوي لأن معني يحتمل أن يختلف. و لا يجوز القياس و التفريع مثل أن ورد لفظ اليد فلا يجوز إثبات الساعد و الكف و العضد مصيرإلي أن هذا من لوازم اليد و البعد من هذا إثبات. الغم عند ورود الضحك و إثبات الأذن عند ورود السمع و كل ذلك محال و كذب و زيادة يتجاسر بعض الناس إليها. قال الإمام حجة الإسلام: "و في معني العوام الأديب و النحوي و المحدث و المفسر و الفقيه و المتكلم بل كل عالم سوي المتجردين لتعلم السباحة في بحار المعرفة القاصرين أعمارهم عليه الصارفين وجوههم عن الدنيا و الشهوات المعرضين عن المال و الجاه و الخلق المخلصين لله تعالي في العلوم و الأفعال القائمين بجميع حدود الشريعة و آدابها فهؤلاء أهل الغوص

\17a\

في بحر معرفة الله تعالي و هم مع ذلك كله علي خطر عظيم".

و أما كف الباطن عن التفكر في هذه الأمور فذلك واجب أيضا علي العوام كما وجب عليه إمساك اللسان عن التصرف في هذه الألفاظ.

و أما التسليم لأهل المعرفة لبيانه أنه يجب علي العامي أنَّ ظاهر انطوي عنه من معاني هذه الظواهر و أسرارها ليس منطويا عن رسول

.الله صلي عليه و سلم و عن الصديق و أكابر الصحابة و عن الأولياء و العلماء و الراسخين رضي الله عنهم أجمعين

فإن قيل فالعارفون يحيطون بكمال معرفة الله تعالي حتي لا ينطوي عنهم شيء. قلنا هيهات فإنه لا يعرف الله تعالي كنه معرفته إلا الله .و أن الخلايق و إن اتسعت معرفتهم ------- أضيفت إلي علم الله سبحانه فما أتوا من العلم إلا قليلا

.و لا محدود أي منزه عن بعد و مقدار و كمّ إلا أنه غير متناهي المقدار او الكمية فإن ذلك محال مطلقا

و لا معدود أي لا يتصف بالعدد و لو بالوحدة إذ هي كيفية مستلزمة للقلة و النهاية و بها يقع المتشابهة و لذلك صرَّح سراج الأمة و إمام الائمة أبو حنيفة رضي الله عنه: "ينبغي الوحدة العددية و قال الله تعالي واحد لا من طريق العدد بل من جهة أنه لا شريك له".

و لا متبعض و لا متحيز و لا متناه

إذ الكل من خواص الأبعاد و الأعداد

و لا يوصف بالمائية إذ المائية هي المشاركة الجنسية في حقيقة الذات يقال ما هو. يعني بل هو من جنس الإنسان أو الفرس أو الحجر أو البنات. و ما يتنزه عن المشاركة الذاتية لا يتصف بالمائية و لا يمكن أن يُسألُ عنه سبحانه بما هو لأنَّ ما يشير إليه العقل هو

\17b\

أن يكون مفهوم صانع العام أو مفهوم واجب لوجود أو غير ذلك مما لا يمكن أن يعبّر عنه. و ليس شيء منها حقيقة ذاته و لا معرفة .بحقيقة ذاته بل ليس شيء يناسب حقيقة ذاته. إذ كل ما لحقته العقول فهو مقهورٌ مُحدَثٌ

فالمسئول عنه بما هو هو هذا المفهوم المقهور لا الحق الذي كَلَّ الألسن عن التعبير عنه و عجز العقول عن الإشارة إليه. و لذلك قال ابن عطار رحمه الله في قوله عز و جل "قل هو الله أحد": "سبحانه هو و لا يقدر احدٌ ان يخبر عن هويته إلا هو لا عبارة لأحد حقيقةً إلا له عن نفسه فيخبر عن نفسه بحقيقة حقه و الأعيار يخبرون عنه علي الإذن فيه و الأمر. فأخبر سبحانه بأنه هو الله أشار من نفسه إلي نفسه إذ لم يستحق أحد أن يشير إليه سواه فمن أشار إليه فإنما أشار إلي إشارية إلي نفسه فمن تحقق بإشارته إلي إشارة التعظيم و الحرمة كانت اشارته بتصحيحه علي حد الصواب. و من وقعت إشارته علي حد الدعوي بطلت إشارته و بعدت عن معاني .الحقيقة". هذا كلامه رحمه الله

قال بعض العلماء من أهل النظر و الاستدلال القدر الممكن ذكره من اوصاف الله تعالي المتنع أزيد منه هو ذكره في كتابه العزيز و أودعه في وحيه المقدس قال سبحانه: "قل هو الله أحد" و هو المطلق هو الذي لا يكون هُوَيَّته موقوفة غلي غيره. و الهوية إلاهية بجلالتها و عظامتها لا يمكن أن يعبر عنها إلا بأنه هو هو و لا يمكن شرحها بلوازمها. و اللوازم منها إضافية و منها سلبية. و اللوازم الإضافية أشد تعريفا من الأمور السلبية

\18a\

و الأكمل في التعريف هو اللازم الجامع لنوعي الإضافة و السلب. فعقب قوله سبحانه "هو" بذكر اسم الله المتناول للأمرين. فإن الإله هو الذي ينتسب هو إلي غيره فانتساب غيره إليه إضافي و كونه غير منتسب إلي الغير سلبي و لا ينتسب. قال الإمام حجة الإسلام إذا أشار المشير إلي شيء و قال ما هو لم يكن ذكر الأسماء المشتقة جوابًا أصلاً. فلو أشار إلي نار فقال ما هي فقيل حار فليس ذلك بجواب. فإن قولنا حارٌّ معناه شيء مبهم له وصف الحرارة. و لذلك قولنا عالم قادر معناه شيء مبهم له وصف العلم و القدرة. فإن قلت أنه سبحانه الواجب الوجود عنه و حده يوجد كل ما في الامكان وجوده عبارة عن الحقيقة. و قد عرفنا هذا فأقول هيهات هيهات إن قولنا واجب الوجود عبارة عن استغنائه عن العلة و الفاعل و هذا يرجع إلي سلب التسلب عنه. و قولنا يوجد عن كل موجود يرجع إلي إضافة الأفعال إليه و كل ذلك أسماء و صفات. و غاية الوصف إبهام و تشبيه لكن يقطع التشبيه بأن يقال ليس .كمثله شيء. فهو حي لا كالأحياء قادر لا كالقادرين فينتفي المشابهة و يبقي المشاركة في الاسم

فإن قلت فإذا لم يعرف حقيقة الذات و استحال معرفتها فهل عرف الخلق الأسماء و الصفات معرفة تامة حقيقة. قلنا هيهات ذلك لا

يعرفها بالحقيقة و الكمال الا الله. قالوا في تفسير قوله عز و جل: "الله لطيف بعباده" اللطيف الذي لم يدع أحداً يقف علي ماهية أسمائه فكيف الوقوف علي ماهية وصفه و ذاته. و قيل اللطيف الذي لم يظهر شيئا من الأكوان فيقف احد علي ماهية.

\18b\

و لا يوصف بالكيفية إذ الكيفية هي المشاركة الوصفية يقال كيف يعني هل هو ممَّن يشارك أهل العلم أو زمرة الجهل. أم هل هو من أهل السقم أو من أهل الصحة و الله تعالي لا يشاركه شيء من الأشياء في وصف من أوصافه. بل بين صفات الله و صفات الخلق من البعد ما بين ذاته و ذواتهم. فإن عقل عاقل معنًي مشتركًا بين صفات الخالق الحق و أوصاف الخلف. فذلك المعني لا يتحقق إلا في أذهان العاقلين. و لا يقع به المشاركة الحقيقية إذ كل ما يتصوره الأوهام و الأفكار فمنعوت الله عز و جل بخلافه.

و لا يتمكن في مكان لأن التمكن لا يتصور بدون المكان. و المكان حادث و من المحال كون الواجب موصوفاً كالحادث. فهو تعالي ليس في داخل العالم و لا في خارجه و لا في جهة من جهات العالم. و لا يلزم من نفي الجهات عنه سبحانه نفيه تعالي في ذاته إذ التحقق أعم من التحقق في الجهة و المكان. و لا يلزم من انتفاء الخاص انتفاء العام

و لا يجري عليه زمان إذ كون الشيء في الزمان لا يتصور بدون تبدل الأحوال و هو سبحانه لم يزل و لا يزال موجودا بجميع أسمائه و صفاته. فهو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن لم يزل -------- و لا يزال ------ أبدًا. و ليس يجري له ماض و مستقبل و حاضر. و قد ورد: "ليس عند ربك صباح و لا مساء". و نسبة جميع الأزمنة أوائلها و أواخرها إليه تعالي علي السواء ليس بعضها بالنسبة إليه قريبا و بعضها بعيدا و الموجودات كلها من

\19a\

الأزل إلي الأبد حاضر عنده تعالي كل في وقته و معلومة له ليس في علمه كان أو سيكون. و هو يعلم بخصوصيات الجزئيات و أحكام الكليات و يعلم حاضريَّة الحوادث و ماضيتها و مستقبليتها بالنسبة إلي الزمانيات. و إن كان الكل حاضرا عنده في وقته و ليس هو في الوقت. و الوجود و التحقق أعم من التحقق في الوقت و لا يحد بالحد لا يتحقق أصلاً فاعلم ذلك كذلك.

و لا يشبهه شيء كقوله تعالي: "ليس كمثله شيء و هو السميع البصير" . نفي المماثلة بقوله "ليس كمثله شيء" علي أبلغ الوجوه و لا يقال يزيادة الكاف أو المثل لأن المثل المطلق هو المساوي من جميع الوجوه التي لا يصح توهم ارتفاعها من موصوفها. و أما إذا ساوي الشيء شيئا في بعض أوصافه فيقال هو كالمثل له و لم يتجاسر مجاسر علي إثبات المثل المطلق لله تعالي بل من شبهه شبهه بغيره في بعض الأوصاف فنفي الله تعالي ذلك و يلزم منه نفي المثل علي أبلغ الوجهين. فأول الآية تنزيه محض و قوله "وهو السميع البصير" متمم و مكمل لذلك التنزيه. إذ ثبوت السمع و البصر للخلق أوهم المماثلة. و في الجملة فنفي الله تعالي سبحانه عنهم السمع و البصر و خصهم بنفسه.

و ليس المراد من نفي التشبيه نفي الصفات فإنه مراد بعض المعتزلة و الرافضة لأنهم يسمون كل من أثبت شيئا من الصفات مشبهًا بل المراد أنه سبحانه لا يشبه المخلوق في صفاته و أسمائه بوجه من الوجوه. قال فخر الإسلام إثبات الوجه و اليد عندنا حق لكنه معلوم بأصله متشابه في وصفه

\19b\

و لا يجوز إبطال الأصل بالعجز عن درك الوصف و إنما ضلت المعتزلة عن هذا الوجه فإنهم ردوا الأصول لجهلهم بالصفات علي وجه و المعقول فصاروا معطلة. و أهل السنة و الجماعة أثبتوا ما هو الأصل المعلوم و توقفوا فيما هو المتشابه و هو الوصف و لم يجوزوا الاشتغال بطلب ذلك كما وصفه الله به الراسخين في العلم. فقال: "يقولون آمنَّا به كل من عند ربنا و ما يذَّكَّر إلا أولوا الأباب" .

و لا يخرج من علمه و قدرته شيء

إذ الجهل بالبعض و العجز عن البعض نقص يجب تنزيه الله تعالي عنه

و له صفات

لما نطقت بها النصوص و جاءت بها السنن. فإن قيل لم يرد في الشريعة أن له تعالي صفات بل إن له سبحانه علم و قدرة و حيوة و عظمة و عزة إلي غير ذلك فما نطقت به النصوص و تكلمت به السنن. و لذلك صرح في الفتوحات فإن كنت ممن تحفظ الأدب مع الله فلا تقولن أن لله صفات بل إن لله أسماء. قلت ليس المراد من الصفة إلا ما يراد من العلم و القدرة مثلا. و أما إطلاق اللفظ فهو من الأعمال فيكتفي فيه بالإجماع الظني كلفظ الواجب و معناه الاستغناء عن الغير و هو ثابت بقوله "والله هو الغني" و إطلاق اللفظ بالإجماع. و الناس اختلفوا في مسئلة الصفات فمنهم من مال إلي الإثبات لكن مقرونة بمقايسات عقلية فاسدة و العقل و إن كان حجة من الله لا يتصور أن يغلط بل يري

\20a\

الأشياء علي ما هي عليها لكنه بشرط التجرد عن غشاوة و الوهم و الخيال. و في تجريده عسر عظيم فهؤلاء يعبدون إلها سميعا بصيرا مريدا متكلما عالما قادرا حيا منزها عن الجهات لكنهم فهموا هذه الصفات علي مناسبة صفاتهم. و ربما يصرح بعضهم فيقول كلامه سبحانه حرف و صوت إذ لا يعقل كلام إلا كذلك. و ربما يترقي بعضهم فيقول بل هو كحديث نفسنا ليس بحرف و لا صوت. و يقول الآخر كما أن للعالم ----------- هو عرض قايم به زايد عليه كذلك لصانع العالم علم هو صفة زائدة عليه و ربما يصرحون بإمكانها و جوازها و مغايرة بعضها ببعضها. فهم رجعوا إلي التشبيه من حيث المعني و إن أنكروها باللفظ و لم يدركوا أصلا معاني هذه الأوصاف . و منهم من مال إلي النفي فرارا عن التشبيه و تكثر القديم. و النصوص و الأخبار شاهدة بخلافه. و استقامة الجماعة علي السواء و قاموا بالقسط فعرفوا معاني الصفات تحقيقا و أدركوا أن إطلاق اسم الكلام و الإرادة و القدرة و العلم و غيرها علي صفاته عز و جل ليس مثل إطلاقه علي البشر. فتحاشوا عن تعريفها بما يناسب أوصافهم و قالوا القدر الممكن ذكره الممتنع أزيد منه هو الذي ذكره في كتابه العزيز و أودعه في وحيه المقدس علي وجه الذي جاءت به السنن مع نفي التشبيه و الماهية و نفي الكيفية و الكمية. ثم يجب سكون القلب و طمأنينة العقل إلي الإيمان بهذا و التسليم لهذا

أزلية

لامتناع قيام الحوادث بذاته

قائم بذاته

\20b\

ليست حالة في ذاته و ليس ذاته كل الصفات. و لما استدل من ذهب إلي نفي الصفات بأن القول بالصفات قول بتعدد القدماء و تكثر الواجبات أشار المصنف إلي الجواب عنه بقوله و هي لا هو و لا غيره

يعني أن الصفات بحسب الحقيقة لا يتصف بالقلة و الكثرة إذ هي من أوصاف الأعداد و الكمية. فليست الصفات و الذات شيئا واحدا في الحقيقة و إلا يلزم النهاية و القلة و لا شيئين و إلا يلزم النهاية و القلة. و لا يلزم من نفي الوحدة و الكثرة نفي الوجود. إذ الموجود أعمّ من الموجود القليل و الكثير و من الموجود المنزه عن القلة و الكثرة. و ليست الوحدة نقيض الكثرة كما أنه ليس الفوق نقيض التحت و الاتصال نقيض الانفصال و الدخول نقيض الخروج. و ما أجاب بعض الأشاعرة من الاستشكال بلزوم تعدد القدماء بتسليم التعدد و منع كونه محالاً بناء علي أنها تعدد صفات لا ذوات مبني قولهم بصدور الصفات عنه تعالي بالإيجاب. و كونها متكثرة متغايرة في الحقيقة و إن منعوا مغائرتها بأفواههم. و ذلك الذي اخترعوه مع بطلانه في نفسه لكونه تشبيها صريحا و تنقيصا بيِّنًا ينافي لما

صرحوا به من أن كل ما هو جائز العدم في نفسه فهو محدث و أن الواجب و القديم مترادفان. فإن قيل هل يجوز أن يقال ان الواجب سبحانه و العالم شيئان أو غيران أو اثنان؟ قلنا لا لأنه تعالي وتر و كل ما سواه مشفع كما فسروا

\21a\

قوله تعالي: "و الشفع و الوتر" بالمخلوق و الخالق فلا يشفع بغيره. و لا يقال أن صفاته يحتاج إلي ذاته اذ الاحتياج معلل بالحدوث او الإمكان. فنفي الحدوث و الإمكان يستلزم نفي الحاجة. قولهم احتياج الوصف إلي الموصوف ضروري. قلنا ضرورة ناشئة من مقايسات خِيالية و تحكمات وهمية و حكم العقل تقديس الأوصاف الحقة عن كل ما يتصف به الصفات المخلوقة و هذا أمر الآن يسوِّس قلوب أكثر الضعفاء و يتوهم عندهم القول بالنفي و التعطيل و ذلك لعجزهم عن فهم مرام و قصورهم عن تحقيق الكلام.

و أنا أقول الناس قاسوا صفات الله سبحانه أنفسهم. و تتعالي صفات الله و تتقدس عن مشابهة صفاتنا. و تلك حقايق قُصِرت العبارة عنها و ------- العقول في معرفتها فيعبر عنها بالقدرة الأزلية و الحيوة الأزلية مثلا لضرورة ورود النص. فهذا هو القدر الممكن ذكره الممتنع الزيادة عليه فيكون المعرفة المقرونة بالمقايسة معرفة قاصرة يغلب عليها التشبيه. فينبغي أن يقترن بها المعرفة يبقي المشابهة أصلا و إن بقي المشاركة في الاسم فافهم ذلك كذلك.

و هي أي صفاته الأزلية

العلم و القدرة و الحيواة و القوة و السمع و البصر و الإرادة و المشيئة و الفعل و التخليق و الترزيق و الكلام

\21b\

و إنما عقب القوة بالقدرة و المشيئة بالإرادة و التخليق بالفعل ليعلم أن الأوصاف الإلهية و إن كانت متقاربة لكنه بين كل واحد منها و بين الآخر دقيقة يمتاز بها عن الآخر. قال الله تعالي: "يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد" قارن المشيئة بالفعل و الإرادة بالحكم لدقيقة يعرفها الخواص من عباده و نحن نؤمن بالكل بالمعني الذي أراده و علي الوجه الذي قاله.

قال الإمام محي الملة و الدين: "العليم و الخبير و المحصي و المحيط و الحكيم كلها من أسماء العلوم غير أن بين كل واحد و بين الآخر دقيقة و حقيقة يمتاز بها عن الثاني و هكذا في كل اسم يكون بينه و بين غيره مشاركة". قالوا و لا يقال أن الرضي إرادة الإكرام و الغضب إرادة الانتقام فإن هذا نفي للصفة قول المتأوّل الغضب غليان القلب و الرضي الميل و الشهوة و ذلك لا يليق بالله تعالي. قلنا الإرادة فينا هي ميل الحي إلي ما يلائمه ليجلب له منفعة أو يدفع عنه مضرة و ذلك لا يليق بالله تعالي. فالمعني الذي صرفت إليه اللفظ و المعني الذي صرفت عنه سواء. فإن قال الإرادة التي يوصف بها الله مخالفة للإرادة التي يوصف بها العبد. قيل له أن الغضب و الرضي الذي يوصف الله به مخالف لما يوصف به العبد. فإذا كان ما يقوله في الإرادة يمكن أن يقال في هذه الصفات يجب ترك التأويل لتسلم من التناقض و تعطيل معني أسماء الله تعالي. و هذا الكلام يقال لكل من نفي صفة من صفات الله لامتناع مسمّي ذلك في المخلوق فيجب ترك التصرف في أسمائه و صفاته و توصيفه

\22a\

بكل ما وصف به نفسه و تسميته بكل ما سمي به نفسه في كتابه الحكيم أو علي لسان نبيه الكريم

و هو متكلم بكلام هو صفة له أزلية ليس من جنس الحروف و الأصوات

بل الحروف و الأصوات دلالات علي الكلام. و الأصل الكلي لما أثبت الله تعالي كلاما لنفسه بقوله: "و كلم الله موسي تكليما" وجب أن يكون موصوفا به لم يزل و لا يزال غير شبيه بالخلق لوجه من الوجوه فوجب الإقرار به و لم يثبت أنه حرف و صوت وجب الإمساك عنه

و هو صفة منافية للسكوت و الآفة

السكوت ترك التكلم و الكلام مع القدرة و الآفة عدم القدرة علي التكلم. و الكلام قد يكون لفظيا. و السكوت و الآفة المتنافية له

عدم التلفظ و عدم القدرة عليه و قد يكون معنويا و منافاته للسكوت و الآفة المعنوية

و الله تعالي متكلم بها آمر ناه مخبر

لم يزل و لا يزال آمرا ناهيا مخبرا واعدا موعدا حامدا و هذا كما أنا مأمورون و مخاطبون بما أنزل من القران علي النبي صلي الله عليه و سلم و لم نخلق بعد و لم نك موجودين. قال الله تعالي: "وأوحي إلي هذا القران لأنذركم به و من بلغ" يعني لأخوفكم بالقران و أخوف من بلغه هذا القران. و كلامه تعالي يستحيل أن يكون محلا للحوادث داخلا تحت التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم ما يجب

\22b\

للذات و لا يغير به التغيرات. فمحال أن لا يكون هو سبحانه في الأزل آمرا و ناهيا و مخبرا يتكثر كلامه إلي الأمر و النهي و الخبر بحدوث التعلقات و الإضافات. فكما أن قيام طلب التعلم و إرادته بذات الوالد قبل أن يخلق ولده حتي إذا خلق ولده و عقل و خلق الله له علم ما في قلب أبيه من الطلب يصير مأمورا بذلك الطلب الذي قام بذات أبيه. فكذلك قيام الطلب الذي دل عليه قوله تعالي "فاخلع نعليك" بذات الله تعالي في الأزل و يصير موسي مخاطبا به بعد وجوده إذا خلقت له معرفة بذلك الطلب. فإن قيل الأمر بلا مأمور و النهي بلا منهي سفه و عبث. قلنا نعم لو كان الأمر و النهي ليجيب وقت الأمر و النهي فأما الأمر و النهي ليجيب وقت وجوده فحكمة و مصلحة. فإن قيل أخبر الله عن أمور ماضية و هذا إنما يصح ان لو كان المخبر عنه سابقا علي الخبر فلو كان هذا الخبر موجودا في الأزل لكان الأزلي مسبوقا بغيره و هو محال و لو لم يكن المخبر عنه سابقا علي الخبر يكون كذبا. قلنا صيغة الماضي و المستقبل إنما هو في الزوال . و أما الكلام الذي هو صفة الله تعالي فلا يتعلق بالزمان. قال الشيخ الإمام أبو منصور رحمه الله تعالي: "كلامه الذي غير مسموع لاستحالة سماع ما ليس بصوت و إنما سمع موسي عليه السلام صوتا دالا علي كلام الله تعالي و خص باسم الكليم لأنه سمع بغير واسطة الملك". و قال الشيخ أبو الحسن الأشعري: "يجوز أن يسمع كلامه الأزلي قالوا لا يستبعد أن يسمع كلام ليس بصوت و لا حرف كما لا يستنكر أن يري في الآخرة موجود ليس بجسم و لا لون. أقول نعم إذا

\23a\

أوجبه النص. لكن النص و هو قوله تعالي: "و كلم الله موسي تكليما" يحتمل الوجهين. و أما في الرؤية فاتفقت الصحابة رضي الله عنهم علي أن النصوص الواردة فيها محمولة علي ظواهرها. و قال أهل بعض المتأخرين الذي يجب اعتقادة في هذه المسئلة أن الله متكلم بكلام غير مخلوق. و للأشاعرة و الحنابلة و المعتزلة فضول في الكلام تركها من حسن الإسلام

و القران كلام الله تعالي غير مخلوق القران يُنصرف في اللغة علي وجوه منها مصدر القراءة كما قال سبحانه: "فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ" و الحروف المعجمة في المصاحف تسمي قرآنا. قال النبي صلي الله عليه و سلم: "لا تسافر بالقران الي ارض العدو" و يسمي كلام الله تعالي قرآنا كما ورد في الحديث. القرآن كلام الله تعالي غير محدث و لا مخلوق فكل القرآن سوي كلام الله تعالي محدث. و القران إذا أطلق لم يفهم منه غير كلام الله. فهو إذا غير مخلوق و لا يجوز أن يقال القرآن مخلوق علي الإطلاق إذ الألفاظ ينصرف إلي المتعارف

و هو مكتوب في مصاحفنا محفوظ في قلوبنا مقروء بألسنتنا مسموع بآذاننا غير حال فينا

و لما أجمع السلف و الخلف علي أن القران كلام الله تعالي مكتوب في مصاحفنا محفوظ في قلوبنا متلو بألسنتنا مسموع بآذاننا و عن عثمان و علي رضي الله عنهما: "ما بين الدفتين كلام الله قران" فلا بد لنا من موافقتهم و القول بما قالوا. و هذا كما أن السماوات و الأرض و الجنة و النار مكتوبة في ورقة صغيرة و محفوظة في طرف من القلب من غير أن تحل ذات السماوات و الأرض و الجنة و النار

\23b\

في الورقة لاستلزام حلول ذات الله تعالي كتابة اسمه في الورقة و يحل ذات النار بكتابة اسمها في الورق و لاحترق الورق.

و التكوين صفة الله تعالي ازلية و كذا الترزيق و التصوير و الإحياء و الإماتة و غير ذلك من صفات الفعل أزلية لم يزل و لا يزال

بأسمائه و صفاته لم يحدث له صفة و لا اسم. و شبهة المنكر في ذلك أن التكوين لو كان أزليا لوجب وجود المكون في الأزل لأن القول بالتكوين و لا مكوَّن كالقول بالضرب و لا مضروب و انه محال فلا بد أن يكون حادثا. و الجواب أن هذا مقايسة خيالية و الفارق بيِّن إذا الضرب إضافة لا يفعل بدون الطرف.

و أوصاف الله كلها حقيقة و إنما الإضافة في مفهوماتها. و ليس يلزم من ثبوت حكم للمعقولات العلمية ثبوته للحقايق الحقة. و لو جاز حدوث صفة له تعالي لجاز نقصانه أولا ثم كماله ثانيا فإنما هذا من التباس الحقايق الثابتة بالمعقولات الهالكة كما يشتبه الفرس الحق علي بعض الأوهام بالصورة المنقوشة في الجدار فيجري حكم أحد الحقيقتين علي الأخري. و ذلك لا يستبعد من المتكلف بالهوي

و هو تكوينه للعالم و لكل جزء من أجزائه لوقت وجوده وعلي وفق علمه الأزلي و إرادته الأزلية فالمتعلقات كلها في وقتها و المتعلق دائم لا في الوقت.

و هو غير المكون عندنا لأن مراد مشايخنا بالتكوين الصفات الفعلية. فالصفة القائمة بذات الله تعالي يغاير المكوَّن المخلوق ضرورة و اأاشاعرة يريدون بالتكوين المكوَّن و بالفعل

\24a\

المعقول علي طريقة ذكر المصدر و إرادة المفعول. و كذلك يصرحون بحدوث الأفعال و قِدمِ الأوصاف و لا ينكرون صفات الأفعال و لا يقولون بحدوثها. صرح علمائهم كحجة الإسلام و غيره بأن ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسول الله صلي الله عليه و سلم فهو كما وصفه و حق بالمعني الذي أراده.

و قالوا يجب للصفات و نعوت القدم ما يجب للذات و لا يعتريه التغيرات. و ما قيل أن صفات الله سبحانه عند الأشاعرة سبعة و ما عداها إضافات و اعتبارات كلها حادثة و عند الجمهور ثمانية و غيرها راجعة إليها فهو من مخترعات بعض المتأخرين و فيه نفي الصفات نطقت بها النصوص و جاءت بها السنن و كيف يتوهَّم صدق ما يعزيه إليهم خصوصا إلي الحنفية فإنهم كما هو مذهب جمهور الصحابة فوَّضوا تأويل نصوص الصفات بل مطلق النصوص المتشابهة إلي الله تعالي مع التنزيه عن التشبيه. و الأشاعرة و إن أوَّلوها بما يليق به تعالي فلا يقطعون بأنه مراد الله و هم يصرّحون في غير موضع و يفصلون في غير كتاب بتوصيفهم لله تعالي بكل ما وصف به نفسه و تسميتهم له تعالي بكل ما سمي به نفسه بل يقولون إن لله تعالي صفات و أسماء لا يعرفها تفصيلا. خلافا للمعتزلة لما ورد في الأخبار "أو استأثرت به في علم الغيب عندك" فليت شعري كيف عرف انحصار كمالاته سبحانه في الثمانية أم عنده كتاب من عند الله هو أهدي من الذي تمسك به السلف أم بقوله: من علم عنده فيخرجه لنا إن كان صادقا في علمه. لا بل يقوله شبهة زينت له و هي أن فيه تكثير للقدماء جدًّا و تلك

\24b\

أيضا مما لا يتمسك مثله بمثلها. إذ القول بأن الكثرة المتحققة في الثمانية ليست بمستحيلة و إنما المستحيل فوقها تقولٌ محضٌ.

و أصل الكثرة تثبت بإثبات اثنين من الصفات و قد تقرر بالبراهين أن صفات الله تعالي مقدسة عن القلة و الكثرة. فهذه واقعة شاهدة لصدق النبوة و مثبتة لإعجاز القران و لا تتبع الهوي فيضلك عن سبيل الله. فهو غفره الله مع تبحره في العلوم العقلية و اجتنائه للعلوم النقلية كيف وقع و أوقع في ورطة باتباع الهوي يبقي الجماهيردون خروجها وال------------كلما اهتزُّوا لنيل الصراط المستقيم ردَّتهم سنان الشبهات قهرا وقرا

و الإرادة صفة الله أزلية قائمة بذاته و الله تعالي أراد في الأزل إحداث الحوادث في أوقاتها اللائقة بها علي وفق العلم أزلي. إذ لو كانت حادثة لصار الواجب محلاًّ للحوادث و لو حدثت في غير ذاته لم يكن هو مريدًا بها كما لا تكون أنت متحركا بحركة ليست في ذاتك.

و رؤية الله تعالي أي رؤية المؤمنين لله تعالي بأعين رؤوسهم بلا تشبيه و لا كيفية مقدسا عن الجهات و الأقطار

جائزة في العقل إذ الرؤية نوع كشف و معرفة إلا أنه أتم و أوضح من المعرفة. فإذا جاز معرفته تعالي و ليس في جهة جاز رؤيته سبحانه و ليس في جهة. و إذا لم يُعجِزه تعالي خلق المعرفة في القلوب فكيف يُعجِزه تعالي خلق الرؤية في العيون. و كيف عرف المعتزلي من صفة

\25a\

الرب ما جهله موسي. أو كيف سأل موسي الرؤية بقوله: "رب أرني أنظر إليك" مع كونه محالاً. و قولهم: "رب أرني أنظر إليك" سؤال آية مستحيل إذ آيات الله غير الله و لأنه أراه آياته. و إنما نفي الله تعالي الإدراك بالأبصار لأن الإدراك يوجب كيفية و إحاطة فنفي ما يوجب الكيفية و الإحاطة عن الأبصار كما نفاه عن القلوب بقوله: "و لا يحيطون به علماً" . بل نقول لا حاجة لنا إلي إثبات جواز الرؤية في العقل لأنها صفة ثابتة بالكتاب و السنة إلا أنها متشابهة من حيث الحقيقة متنزهة عن الكيفية كسائر صفاته العلية. فيجب علي المؤمن أن يقر بها و يعتقد أنّ موجب العقل باطل في وصفها إذ ليس عن مجرد شأنه أن يدركها.

فالمختار في المسئلة ما اختاره أبو منصور و فخر الإسلام رحمهما الله من التمسك بالدلائل السمعية في إثبات المذهب فإنها أسرع في إلزام الخصوم و تفهيم العوام. و إذا ذكر الخصم شبهة علي هذه الدلائل النقلية إنما يفهم بالمعقول علي وجه الدفع و الرد.

و واجبة بالنقل فإذا ثبت جوازها ثم جاء السمع بوجوبها كقوله تعالي: "وجوه يومئذ ناضرة الي ربها ناظرة" و قوله عليه السلام: "إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر" وجب القول بها و الإيمان و التصديق لها. و يروي مرفوعا في قوله تعالي: "للذين أحسنوا الحسني و زيادة" للذين آمنوا الجنة و زيادة النظر إلي الرب تعالي. و الأخبار في الرؤية متواترة المعني و الأمة في القرون الأولي مجتمعة علي كون الآيات و الأحاديث الواردة فيها محمولة علي ظواهرها فلا مساغ للاحتمالات التي ذكرها النافية

\25b\

كقولهم "إلي ربها" بمعني إلي ثواب ربها و قولهم النظر بمعني الانتظار و قولهم إلي واحد الآلاء و هو مفعول النظر و غيرها من الاحتمالات التي يذكرها البدعة. و إجماع أهل السنة في وقوع الرؤية إنما هو لمؤمنين هذه الأمة. و أما في الأمم السالفة الأظهر مساواتهم بهذه الأمة.

و ينقل عن "الإبانة في أصول الديانة" لأبي الحسن الأشعري أن الملائكة يرونه و اختلفوا في النساء فقيل إنهن لا يرين لأنهن مقصورات في الخيام و لا يخفي ضعفه. و قيل يرين تمسكا بعمومات النصوص الواردة في الرؤية و هو الأظهر.

و عن الدارقطني في كتاب الرؤية إنهن يرين في مثل أيام الأعياد في الدنيا عند تجليه لأهل الجنة تجليا عاما في الأيام المذكورة. و أجمعوا أنه لا يري في الدنيا لأنه لما منع الله تعالي كليمه من ذلك في الدنيا فمن دونه أحري. و بالجملة إن الله تعالي أخبر أنها تكون في الآخرة و لم يخبر أنها تكون في الدنيا فوجب الانتهاء إلي ما أخبر الله تعالي به.

قال الجمهور إن النبي صلي الله عليه و سلم لم ير ربه ليلة المعراج ببصره و لا أحدٌ من الخلايق في الدنيا علي ما روي عايشة رضي الله عنها أنها قالت: "من زعم أن محمد صلي الله عليه و سلم رأي ربه فقد كذب" منهم الجنيد و الثوري و أبو سعيد الحراز. و قال بعضهم رآه النبي صلي الله عليه و سلم ليلة المعراج و أنه خص من بين الخلايق بالرؤية كما خص موسي عليه السلام بالكلام منهم ابن عباس و أسماء و أنس رضي الله عنهم. و قال بعضهم رآه بقلبه و لم يره ببصره. و لو قلنا برؤيته صلي الله عليه و سلم ليلة المعراج فإنما هي في عالم الآخرة لا في الدنيا. و أطبق المشايخ علي تضليل من قال أن الله تعالي يري

=====================\26a\

في الدنيا. و شبهة المخالف ان الرؤية لا تعقل الا في مكان و جهة و مقابلة و ثبوت مسافة بين الرأي و المرئ لا في غاية البعد و لا في غاية القرب و اتصال شعاع من الباصرة بالمرئ و الله سبحانه يتنزه عن الكل فاشار المصنف رحمه الله الي جوابه بقوله

فيري لا في مكان و لا علي جهة مقابلة او اتصال شعاع او ثبوت مسافة بين الرائ و بين الله تعالي و حاصل ان مقايستكم وهمية و

الفارق بين و السنة المجمع عليها لا يترك بامثال هذه الشبهات الخيالية

و الله تعالي خالق لافعال العباد من الكفر و الايمان و الطاعة و العصيان لقوله سبحانه: "خالق كل شيء" فلما كانت افعالهم اشياء وجب ان يكون الله تعالي خالقا لها و قوله تعالي: "و اسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق" اخبر سبحانه ان قولهم سرهم و جهرهم مخلوق له تعالي. فصح انه خالق الافعال و الاقوال كما انه خالق الاعيان و الاجسام. و قولهم سرا و جهرا يكون خيرا و شرا. و لو لم يخبر ان يخلق الله الفعل الذي هو شر لما جاز ان يخلق العين الذي هو شر كابليس. و لا يلزم من خلق الشر و ارادته لحكمة لا ----- كونه تعالي شريرا. اذ الشرير من اتصف بالشر لا من خلقه. و لو كان العبد خالقا لافعاله لاحاطتها علما بتفاصيلها و لا يكون من خلق القعود قاعدا و من خلق القيام قايما كما لم يكن من خلق السواد اسود

\26b\

و من خلق البياض ابيض. و الخلق بمعني التقدر و التصور لا بمعني الاحداث يحادد التاثير في قوله تعالي: "فتبارك الله احسن الخالقين" و قوله: "اذ تخلق من الطين كهيئة الطير" . و كون افعال العباد و جميع الحيوانات مخلوقة لله تعالي لا خالق لها سواه مما اجمع عليه الصحابة و التابعين رضوان الله عليهم اجمعين. فقول القائل هم يوجدون لافعالهم الاختيارية خرق لاجماعهم و اعتزال منهم.

و هي كلها بارداته و مشيئته و قضيته و تقديره لان كون الكل خلقه يستلزم كون الكل بارادته و مشيئته. الا ان الطاعات بمشيئته و ارادته و رضائه و محبته و امره و قضائه و قدره. و المعاصي بقضائه و قدره و ارادته و مشيئته دون امره و رضائه و محبته. و عند الفرقة من اهل الكلام هو مريد للخير و الطاعة دون المعصية تمسكا بقوله تعالي: "و ما الله يريد ظلما للعباد" . و لنا ما يروي عنه عليه السلام و اجمع الامة في القرون الاولي عليه "ما شاء الله كان و ما يشاء لم يكن" و قوله تعالي: "فمن يريد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام" وسبحانه حكاية عن عن نبيه: " و لا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم" و غير ذلك. و لو كانت المعاصي و الجرايم خارجة عن ارادة الله تعالي و انما جارية علي وفق ارادة ابليس مع انه عدو الله فالجاري علي وفق ارادة العدو و اكثر من الجاري علي وفق ارادته تعالي. فان قيل فكيف ينهي عما يريد و يأمر بما لا يريد؟ قلنا الامر غير الارادة فيجوز ان يأمر بما لا يريد لحكمة و مصلحة

\27a\

يترتب علي ذلك. حكي ان القاضي عبد الجبار الهمداني لما رأي الاستاذ ابا اسحاق الاسفرائني قال: "سبحان من تنزه عن الفحشاء". فقال الاستاذ: "سبحان من لا يجري في حكمه الا ما يشاء". فقال القاضي: "أ يشاء ربنا ان يُعصي؟" فقال: الاستاذ "أ يُعصي ربنا قهرًا؟" فقال القاضي: "أرأيت ان منعني الهدي و قضي علي بالردي احسن اليَّ ام اساء ؟" فقال الاستاذ: "ان منعك ما هو لك فقد اساء و ان منع ما هو له فيختص برحمته من يشاء". فبهت القاضي

و للعباد افعال اختيارية يثابون بها و يعاقبون عليها

لا كما قالت الجبرية من انه لا اختيار و لا فعل للعبد اصلاً و لا قدرة لهم علي افعالهم كحركات المرتعش و العروق النابضة و نحن نقول ان الفرق ظاهر بين حركة البطش و حركة الارتعاش. و معلوم قطعا ان الاول باختياره دون الثاني و النصوص القطعية ناطقة بثبوت الاختيار كقوله: "فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر" . و قد تقرر امتناع كون العبد خالق لافعاله فلم يبق الا الاقتصاد في الاعتقاد. و هو انها مقدورة لله تعالي اختراعا و مقدور للعبد علي وجه آخر يعبر عنها بالاكتساب. و قد اثبت الله تعالي للعبد الاكتساب بقوله سبحانه: "تلك امة قد خلت لها ما كسبت و لكم ما كسبتم و لا تسألون عما كانوا يعملون" . و دخول مقدور تحت قدرتين احديهما قدرة الايجاد و الاخري قدرة الكسب جائز فهم مختارون لاكتسابهم ليسوا بممنوعين عن ضد ما اختاروه و لا بمجبورين

\27b\

علي ما اكتسبوه. و لذلك وجبت حجة الله عليهم و الله تعالي خلق لهم ذلك. و لا يلزم الجبر و الاضطرار من كون الارادة و الاختيار بخلق الله تعالي لان الارادة صفة من شأنها ان يرجح الموصوف بها احد المتساويين. و كذا القدرة تصلح للضدين عند ابي ح رحمه الله فالمباشر لضد المأمور به شاعل للقدرة الصالحة للتحصيل المأمور به بغيره.

و بالجملة ان ثبوت الاختيار و الارادة معلوم بالضرورة و بالنصوص القطعية و ليست بمخلوقة للعبد لانحصار الخالقية في الرب. و لا اضطرار مع احتيار. فالاختيار معلومة باصلها مجهولة بكنهها و لا يعلم حقيقتها غير خالقهاو بارئها. و لا يجوز ابطال الاصل المعلوم لعجزنا عن وصف كنه. و لا يلزم من كون كلها بقضاء الله و مشيئته نفي القدرة و الاختيار عن العبد لاه تعالي قضي بان العبد يفعله و يتركه باختياره. و ايضا منقوض بافعاله سبحانه لان فعله تعالي بالنظر الي القضاء اما واجب او ممتنع. اذ لو تعلق القضاء بالوجود يجب و لو تعلق بالعدم يمتنع. فلوكان الفعل بالاختيار منافيا له لم يكن الباري سبحانه مختارا. و هذا محال. و عن وهب رحمه الله انه قال: "نظرت في القدر فتحيرت ثم نظرت و وجدت اعلم الناس بالقدر اكفَّهم عنه و اجهل الناس بالقدر انطقهم فيه". و يؤيده ما روي مرفوعًا: "اذا ذكر القدر فامسكوا" يعني عن الحوض فيه لا عن الايمان به.

و الحسن منها برضاء الله تعالي و القبيح منها ليس برضائه

القبح

\28a\

ما يكون متعلق الذم في العاجل و العقوبة في الآجل و الحسن ما يكون متعلق المدح في الدنيا و الثواب في العقبي او قيل الحسن ما لا يكون سببًا للذم و العقاب

و الاستطاعة مع الفعل و هي حقيقة القدرة التي يكون بها الفعل

و ليست القدرة هي الاعضاء السليمة و الا لا يستوي كل ذي اعضاء سليمة. فلما رأينا ذوي اعضاء سليمة متفاوتة في الفعل ثبت ان القدرة قوة ترد علي الاعضاء السليمة و تلك القوة متفاوتة في الزيادة و النقصان و وقت دون وقت. قالوا الاستطاعة مقارنة للفعل و لو لا ذلك لم يكن بالخلق حاجة الي الله تعالي عند افعالهم و لا كانوا فقراء اليه. و هذا خلاف حكم النص و هو قوله تعالي: "و الله الغني و انتم الفقراء". اقول ذم الله سبحانه للكافرين بقوله تعالي: "ما كانوا يستطيعون السمع" فلو ان الاستطاعة هي امر يترتب علي ارادة الفعل ارادةً جازمةً لما لحقهم الذم بعدم الاستطاعة السابقة علي الارادة الجازمة. لان انتفائها لم يكن بتصنيع العبد بل هو في مجبور فلا يلحقهم الذم بالامتناع عن الفعل عند انتفاء الاستطاعة السابقة. و اما عند عدم الاستطاعة المرتبة علي الارادة الجازمة مع سلامة اسبابها و آلاتها يلحقهم الذم بالامتناع عن الفعل لتضييعهم اياها لاشتغالهم بضد ما امروا به. و قال بعض اهل الكلام هي سابقة علي الفعل اذ لو لم تكن سابقة عليه موجودة حال عدم الفعل لكان الامر بالفعل تكليفا للعاجز. و هو منفي بقوله تعالي: "لا يكلف الله نفسا الا وسعها". الا يري ان الكافر

\28b\

في حال كفره مكلف بالايمان فلو لم يكن قادرا علي الايمان حال كونه كافرًا لكان ذلك تكليفًا بما لا يطاق. اشار المصنف الي جوابه بقوله:

و يقع هذا الاسم علي سلامة الاسباب و الآلات و الجوارح و صحة التكليف تعتمد علي هذه الاستطاعة

و هي المعينة بقوله تعالي: "من استطاع اليه سبيلا". فان المراد به الزاد و الراحلة لا حقيقة قدرة الفعل و قد جرت عادة الله تعالي بتحصيل القدرة مرتبة علي قصد الفعل عند سلامة الاسباب و الآلات علي ان القدرة تصلح للضدين عند ابي ح رحمه الله فكان المباشر لضد المامور به شاعلا للقدرة الصالحة لتحصيل المأمور به بغيره فكان تكليف قادر

و لا يكلف العبد بما ليس في وسعه

و ما ليس في وسع البشر ثلث مراتب. اولها ان يمتنع في ذاته كجمع الضدين و قلب الحقايق و اعدام القديم و هذا مما لا يتعلق به اصل القدرة. و ثانيها ان لا يتعلق القدرة الحادثة اصلا كخلق الاجسام او عادة كحمل الجبل و الصعود الي السماء. و ثالثها ان يمتنع لغيره كايمان من علم الله تعالي انه لا يؤمن. فالثالث مما اتفق الكل علي جوازه عقلا و علي وقوعه شرعا. و اما الثاني و هو مسمي بتكليف ما ليس في الوسع فاختلفوا فيه. فقال اصحاب ابي ح رحمه الله لا يجوز ذلك عقلا و لا يقع شرعا. قالوا ان حكمة التكليف اي الابتلاء و انما يتحقق ذلك فيما يفعله العبد باختياره فيثاب عليه او يتركه باختياره فيعاقب عليه. فاذا كان بحال لا يمكنه وجود الفعل

\29a\

منه كان مجبورا علي ترك الفعل فيكون معذورا في الامتناع فلا يتحقق معني الابتلاء. و قال الاشعري انه جايز عقلا اذ العباد مما لكه فيفعل بهم ما يشاء و يحكم فيهم ما يريد و لا يقع لقوله تعالي: "لا يكلف الله نفسا الا وسعها". و الآية يدل علي عدم وقوع التكليف بالمحال و لا يدل علي امتناعه. و قوله: "انبئوني باسماء هؤلاء" مع عدم علم الملائكة بذلك ليس بتكليف بل خطاب تعجيز .كالامر باحياء الصور يوم القيامة. و قول بعض الاشاعرة بوقوع تكليف ما لا يطاق خلاف النص و الاجماع

و ما يوجد من الا لم في المضروب عقيب ضرب انسان و الانكسار في الزجاج عقيب كسر انسان و ما اشبه كل ذلك مخلوق الله تعالي

كاليقين بعد التقوي و العلم بعد النظر و الاستدلال

لا صنع للعبد في تخليقه

يعني لا مدخل لاكتساب العبد في تخليق الله اياه. و انما مدخلية الكسب في نفس الفعل كالكسر و الضرب لاستحالة اكتساب ما .ليس بقايم بمحل القدرة. فاثار افعال الحيوانات بخلق الله تعالي بعد الفعل بطريق جري العادة لا باختيارهم و كسبهم

و المقتول ميت باجله

الاجل الزمان الذي عينه الله تعالي و قدره تموت الحيوان فيه. فكل حيوان يموت باجله لقوله تعالي: "و ما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا" . و الموت يوجد في المقتول بتخليق الله تعالي و للقاتل فيه اختيار. و وجوب القصاص و الضمان علي القاتل

\29b\

لارتكابه المنهي و مباشرته فعلا. اجري الله تعالي عادته بتخليق الموت عقيبه و كذا ضمان المتلفات ككسر القارورة و غيرها. و الموت قايم بالميت لا صنع فيه للعبد تخليقا و لا اكتسابا. قالوا الموت معني وجودي مناف للحيوة و هو قايم بالميت مخلوق له تعالي و ليس .بفعل القاتل. و القتل فعله قايم به و كسب له و الموت اثره مترتب عليه

و الاجل واحد

اذ الاجل زمان وقوع الموت و لا يتصور ان يموت نفس في زمانين. و زعم بعض المعتزلة ان للمقتول اجلين القتل و الموت و لو لم يقتل لعاش الي اجله الذي هو الموت. و قال ابو الهزيل منهم المقتول ميت باجله و لا اجل له سواه. و لو لم يقتل لمات باجله في وقت قتله. و عندنا لا يجوز ان لا يقتل في وقت قتله لامتناع تبدل تقدير الله. و قول بعضهم انه غير مقتول باجله بل هو مقطوع الاجل يؤدي الي ان للعبد قدرة منع الله عن ابقاء عبده الي ما جعله اجلا له. و ما ورد في الاحاديث صلة الرحم تزيد في العمر فلعل المراد به .الزيادة بحسب الخير و البركة

و الحرام رزق و كل يستوفي رزق نفسه حلالا او حراما و لا يتصور ان لا يأكل انسان رزقه او يأكل غيره رزقه

و عند المعتزلة الحرام ليس برزق و جاز ان لا يأكل انسان رزقه غيره. و هذا بناء علي ان الرزق عندنا الغذاء فما قدر الله تعالي ان يكون عذاء لغيره و كما يتغذي الانسان بالحلال

\30a\

يتغذي بالحرام و عندهم عبارة عن الملك. و الحرام لا يكون ملكا فلا يكون رزقا. لنا قوله تعالي: "وما من دابة في الارض الا علي الله رزقها" . فلو كان الرزق منحصرا في الملك لما كان الله تعالي رازقا للمماليك و الدواب. و اما اذا لم يدعوا انحصار الرزق في الملك فيرجع الخلاف الي اللفظي اذ الرزق قد يذكر و يراد به الملك و منه قوله تعالي: "و مما رزقناهم ينفقون" . و قال بعض المعتزلة ان الرزق تخصيص الشيء بالحيوان و تمكينه من الانتفاع به. و لما استحال من الله تعالي ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به و امره بالزجر عنه لا يتناول الرزق الحرام. فعلي هذا يرجع النزاع الي امكان التمكين من الحرام و عدمه فيكون النزاع معنويا.

و الله تعالي يضل من يشاء بالخذلان و تضييق صدره "و يهدي من يشاء" بالتوفيق و شرح الصدر بقوله تعالي: "من يهدي الله فهو المهتد و من يضلل فلن تجد له وليا مرشدا" .

فاعلم انه لا يعرف الله الا من تعرف اليه و لا يوحده الا من توحد له. و اما النذور و العقول و الدلايل فلا يعنون عن قوم لا يرحمون.

و ما هو الاصلح للعبد فليس ذلك بواجب علي الله تعالي

جميع ما فعل الله تعالي بعباده من الاحسان و الصحة و السلامة و الايمان و الهداية تفضل منه. و لو لم يفعل ذلك لكان جايزا. و لو كان ما يفعل شيئا واجبا لم يكن مستحقا للحمد و الشكر. و لو عذب جميع من في السماوات و الارض لم يكن ظالما لهم و لو ادخل جميع الكافرين

\30b\

الجنة لم يكن ذلك محالا لان الخلق خلقه و الامر امره و لكنه اخبر انه ينعم المؤمنين ابدا و يعذب الكافرين ابدا و هو صادق في قوله و خبره صدق. فوجب ان يفعل بهم ذلك و لا يجوز غيره لامتناع الكذب عليه سبحانه. و لا يكون شيء منه ظلما و جورا لان الظلم انما صار ظلما لانه منهي عنه. و الجور انما كان جورا لانه عدل عن الطريق الذي بَيَّنَ له من فوقه لمن هو تحت قدرته و لما لم يكن الله تعالي تحت قدرة قادر و لا كان فوقه امر و لا زاجر لم يكن فيما يفعله ظالما و لا في شيء يحكم به جايرا.

و عذاب القبر للكافرين و لبعض عصاة المؤمنين و تنعيم اهل الطاعة في القبر بما يعلمه الله تعالي و يريده

لما ورد في الحديث ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفرة النيران. و مما يدل علي تحقق العذاب قوله تعالي: "اغرقوا فادخلوا نارا" و الفاء للتعقيب و الترتيب بلا تراح و لا يكون ذلك الا قبل القيامة لان اغراقهم كان قبلها. و قال سبحانه في آل فرعون: "النار يعرضون عليها غدوا و عشيا" يعني قبل القيامة لقوله تعالي: "و يوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب". و اتفقوا علي ان الله تعالي يخلق في الميت نوع الحيوة في القبر قدر ما يتألم و يتلذذ. فاختلفوا في انه هل تعاد الروح اليه ام لا. و المنقول عن ابي ح حنيفة رحمه الله التوقف. ثم قيل العذاب علي الروح و قيل علي البدن و قيل عليهما. قال القونوي المؤمن ان كان مطيعا لا يكون له عذاب القبر و يكون له ضغطة فيجد هول ذلك و خوفه. و يقويه ما روي عن رسول الله صلي الله عليه و سلم

\31a\

انه قال لعايشة رضي الله عنها: "كيف حالكِ عند ضغطة القبر و سؤال منكر و نكير؟ ثم قال يا حمراء ان ضغطة القبر للمؤمن كغمر الام رجل ولدها و سؤال منكر و نكير للمؤمن كالاثمد للعين اذا ارمدت". و كذا ما روي انه عليه السلام قال لعمر رضي الله عنه: "كيف حالك اذا اتاك فتانا القبر؟" فقال عمر: "الا اكون في مثل هذه الحالة و يكون عقلي معي؟" قال: "نعم". قال عمر: "اذا لا ابالي". و قال القونوي و ان كان المؤمن عاصيا يكون له عذاب القبر و ضغطة القبر لكن ينقطع عنه عذاب القبر يوم الجمعة و ليلة الجمعة و لا يعود العذاب الي يوم القيامة. و ان مات يوم الجمعة و ليلة الجمعة يكون له العذاب ساعة واحدة و ضغطة القبر ثم ينقطع عنه العذاب و لا يعود الي يوم القيامة، هذا كلامه. و لا يخفي عليك ان العقايد لا يثبت الا بالادلة القطعية و اخبار الاحاد يفيد الظن لا غير. و ينقل عن اصول الشيخ ابو المعين النسفي ان عذاب القبر يرفع عن الكافر يوم الجمعة و شهر رمضان لحرمة النبي

صلي الله عليه و سلم لانه ما دام في الاحياء لا يعذبهم الله لحرمته. فكذلك في القبر يرفع عنهم العذاب يوم الجمعة و كل رمضان لحرمة، هذا كلامه. و هذا ايضا يحتاج الي نقل صحيح او دليل واضح. و يروي: "لو نجي احد من ضغطة القبر لنجي سعد ابن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن لموته". قيل ضغطته بالنسبة الي المؤمن علي هيئة معانقة الام الشفيقة اذا قدم عليها ولدها من السفرة ---- تعميقة و سؤال منكر و نكير ثابت بالدلائل السمعية يقولان: من ربك

\31b\

و ما دينك و من نبيك؟ فيقول المؤمن: ربي الله و ديني الاسلام و نبي محمد عليه الصلاة و الاسلام. و يقول الكافر: هاه هاه لا ادري. رواه ابو داود. و عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه و سلم: "اذا قبر الميت اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما المنكر و للآخر النكير فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: هو عبد الله و رسوله اشهد ان لا اله الا الله و اشهد ان محمدا عبده و رسول الله. فيقولان: قد كنا نعلم انك تقول هذا. ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ثم ينور له فيه. ثم يقال له: نِمْ. فيقول: ارجع الي اهلي فاخبرهم. فيقولان: نِمْ كنومة العروس الذي لا يوقظ الا احب اهله اليه حتي يبعثه الله من مضجعه ذلك. و ان كان منافقا قال: سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله لا ادري. فيقولان: قد كنا نعلم انك تقول ذلك. فيقال للارض اِلتاءِمي عليه فتختلف اضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتي يبعثه الله من مضجعه ذلك. و الاخبار في هذا مستفيضة و المنكر مبتدع ضال. و السؤال لكل ميت صغيرٍ او كبيرٍ و من مات في الماء او اكله السبع فهو مسؤول. و الاصح ان الانبياء عليهم السلام يسألون و يسال اطفال المؤمنين لحكمة لا نطلع عليها. و ابو ح ره توقف في اطفال المشركين في السؤال و دخول الجنة. و قال الاكثرون بذلك فيكونوا خدام اهل الجنة.

و البعث

و هو حشر الاجساد و احيائها يوم القيامة

حق

لقوله تعالي: "ثم انكم يوم القيامة تبعثون" و النصوص في ذلك قاطعة و

\32a\

و الاخبار متواترة. و اثباته من ضروريات الدين و انكاره كفر باليقين. و كما يجيء العقلاء المجانين و الصبيان و الجن و الشياطين و البهائم و الطيور و الحشرات. و اما السقط الذي لم يتم اعضائه فروي عن ابي ح ره انه اذا نفخ فيه الروح يحشر و الا فلا.

و الوزن حق هو عبارة عما يعرف به مفادير الاعمال و له لسان و كفتان و يوزن الاعمال خيرا كان او شرا. و الاصل فيه قوله تعالي: "و الوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون و من خفت موازينه فأولئك الذين خسروا انفسهم" . و لما دل الدليل علي ثبوت الميزان يجب الايمان به و لا يشتغل بكيفيته و يجب توكيل علمه الي الله تعالي. و ينقل عن محمد بن كعب القرطبي انه لا يكون الميزان في حق كل واحد فالسبعون الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا يرفع لهم ميزان و لا يؤتون صحفا. و لعل الحكمة فيه اظهار كمال عدله و جمال فضله تعالي

و الكتاب حق

لقوله تعالي: "اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا" و لقوله تعالي: "فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا و ينقلب الي اهله مسرورا و اما من اوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا و يصلي سعيرا" . و هي كتب كتبها الحفظة ايام حيوتهم الي حين مماتهم. قال سبحانه: "ا يحسبون انا لا نسمع سرهم و نجويهم بلي و رسلنا لديهم يكتبون. قالوا

\32b\

الحكمة في كتابة الحفظة ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه و تعرض علي رؤوس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي و ان العبد اذا وثق بلطف سيده و اعتمد علي عفوه و ستره لم يحتشم منه احتشامه من حرمة المتطلعين عليه.

و السؤال حق لقوله تعالي: "فلنسألن الذين ارسل اليهم و لنسألن المرسلين" و يروي مرفوعا: "ما منكم من احد الا و يسأله رب العالمين ليس بينه و بين العبد حجاب و لا ترجمان فيقول الله الم --- لك مالا الم ارسل اليك رسولا يا بن آدم ما عملت يا بن آدم ما غرك يا بن آدم ماذا اجبت المرسلين؟" و اخرج المسلم برواية ابي هريرة عن رسول الله صلي الله عليه و سلم: "ان اول الناس يقضي عليه يوم القيامة رجل استشهد فاتي به فعرفه نعمه فعرفها فقال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتي استشهد. قال: كذبت و لكنك قاتلتَ لان يقال جرئ فقد قيل. ثم امر به فسحب علي وجهه حتي القي في النار. و رجل تعلَّم العلم و علمه و قرأ القران فاوتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمتُ العلم و علمته و قرأت فيك القران. قال: كذبتَ و لكنك تعلمت العلم ليقال انك عالم و قرأتَ القران ليقال هو قارٍ فقد قيل. ثم أُمِر به فسحب علي وجهه حتي القي في النار. و رجل وسَّع الله عليه و اعطاه من اصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال ما تركت

\33a\

من سبيل تحب ان ينفق فيها الا انفقت فيها لك. قال: كذِبتَ و لكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل. ثم امر به فيسحب علي وجهه ثم القي في النار."

و الحوض حق لحديث عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلي الله عليه و سلم: "حوضي مسيرة شهر و زواياه سواء، ماءه ابيض من اللبن و ريحه اطيب من المسك و كيزانه كنجزم السماء من شرب منها فلا يظمأ ابدا. و عن سهل بن سعيد قال قال رسول الله صلي الله عليه و سلم: "اني فرطكم علي الحوض من مر عليَّ شرب و من شرب لم يظمأ ابدا يردن عليَّ اقوام اعرفهم و يعرفونني ثم يحال بيني و بينهم فاقول انهم مني فيقال: انك لا تدري ما احدثوا بعدك. فاقول سحقا سحقا لمن غيّر بعدي" اخرجهما المسلم و البخاري. قال القرطبي: و الحوض اثنان احدهما قبل الصراط و الميزان علي الاصح فان الناس يخرجون عطاشا من قبورهم فيردونه قبل الميزان و الصراط. و الثاني في الجنة و كلاهما يسمي كوثرا

و الصراط حق و الصراط جسر ممدود علي متن النار احد من السيف و ادق من الشعر. و في المتفق عليه برواية ابي هريرة عن رسول الله صلي الله عليه و سلم: "و يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فاكون اول من يجوز من الرسل بامته و لا يتكلم يومئذ احد الا الرسل و كلام الرسل يومئذ اللهم سلّم سلّم". و عن ابي عثمان رضي الله عنه انه قال: "يمد الصراط علي النار في مثل حد الموسي فترعد فرايص

\34b\

الملائكة فيقولون: ربنا من يجوزبها؟ فيقول سبحانه: "من شئت من خلقي" و قد جاء في الخبر ان الصراط يظهر يوم القيامة للابصار علي قدر نور المارين عليه فيكون دقيقا في حق قوم و عريضا في حق آخرين. و الصراط علي متن جهنم غاب فيها و اخذت النار سعة ما بين الخافقين سوداء مظلمة و الجنة من ورائها. قال بعض الكبراء رحمهم الله الصراط المشروع الذي كان معني في الدنيا ينصب في الآخرة محسوسا و هو صراط التوحيد و لوازمه و حقوقه. و الصراط يدق و يتسع علي حسب منازل الموحد من الدقة للمذنبين و السعة للمتقين. و الاصل الواسع للانبياء و الاولياء يصير لهم كالبساط سعة و بسطا. و لهم السرعة و الابطاء فاولهم كلمح البصر و آخرهم كعمر الدنيا سبعة آلاف سنة تزل قدم فتحرق ثم يخرجها فتبرأ من الرحمة ثم تزل قدم و الاخري قد برأت. فالاسلام خرج لهم رحمة من الله فلما قبلوه و لم يفوا به ضرب لهم جسرا من تلك الرحمة فيمروا عليها فمن ضيع منهم شيئا من اعمال الاسلام فانما ضيع رحمة التي رحم بها. قالوا و الطائفة التي لا تخلد في النار قد تسال و تعذب علي الصراط يمسكهم اعمالهم علي الصراط فلا ينتهضون

الي الجنة و لا يقعون في النار حتي يدركهم الشفاعة و العناية الالهية. فمن تجاوز ههنا عن عباد الله تعالي عنه هناك و من استقصي حقه ههنا من عباده استقصي الله تعالي حقه منه هنا و من شدد علي هذه الامة شدد الله تعالي عليه

\35a\

و انما هي اعمالكم ترد عليكم فالتزموا مكارم الاخلاق فان الله تعالي غدا يعاملكم بما عملتم به عباده اليوم. قالوا المشرك لا قدم له علي صراط التوحيد فهو من المقف الي النار مع المعطلة. و الصراط للموحدين خاصة و الكفار لا جواز لهم عليه لان النار قد التقطت من الموقف جبابرتهم و سائر الكفار قد اتبعوا ما كانوا يعبدون من دون الله عز و جل الي النار.

و الجنة حق و النار حق و هما مخلوقان الآن موجودتان. و الاصل فيه قوله تعالي: "و سارعوا الي مغفرة من ربكم و جنة عرضها السماوات و الارض اعدت للمتقين" و قوله تعالي: "وقودها الناس و الحجارة اعدت للكافرين" اي خلقت و هيئت. و في الحديث القدسي: "اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت و لا اذن سمعت و لا خطر علي قلب بشر". و هذه صيغة موضوعة للماضي حقيقة فيجب اجرائه علي الظ و لا وجه للعدول عنه الي المجاز الا بصريح اية او وضوح دلالة. قال بعضهم ان الجنة في السماء و يدل عليه قوله تعالي: "عند سدرة المنتهي عندها جنة المأوي". و في الخبر: "سقف الجنة عرش الرحمن". و قيل في الارض. و قال بعضهم حيث يعلم الله. و اما النار قيل تحت الارض السابعة. و قيل فوق الارض. و قيل حيث يعلم الله تعالي.

باقيان لا تفنيان و لا يفني اهلهما لقوله تعالي: "اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون" و قوله: "اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون". اتفقوا ان الجني الكافر يعذب بالنار

\35b\

لقوله تعالي: "لأملئن جهنم من الجنة و الناس اجمعين" . و المسلم منهم يثاب بالجنة عند الجمهور و وافقهم ابو يوسف و محمد رحمهما الله و يؤيده قوله تعالي: "ولمن خاف مقام ربه جنتان فباي الآء ربكما تكذبان" . و قيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار لقوله تعالي: "و يجركم من عذاب اليم" غير ان يقترن به قوله: "و يثبكم بالجنة النعيم" و توقف ابو حنيفة رحمه الله. قيل و توقفه لعدم الدليل القطعي لا ينافي ترجيح جانب الاثابة بالدليل الظني. و قال بعضهم ان الملائكة يثابون و يعاقبون الا ان عقابهم كعقاب الآدميينو ثوابهم ليس كثواب الآدميين لان ثوابهم التلذذ بالطاعة و الاستغراق في المشاهدة. و قال علي بن محمد القاري ان عقاب الملائكة مخالف لاجماع الملة.

و الكبيرة لا تخرج العبد المؤمن من الايمان و لا تدخله في الكفر

لقوله تعالي يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلي" . فسمي قاتل النفس عمدا مؤمنا مع انه كبيرة. و قوله تعالي: "و ان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بين اخويكم" بقي لهما اسم الايمان مع ان احديهما باغية. و اما قوله تعالي: "و من يقتل مؤمنا متعمدا فجزاءه جهنم خالدا فيها و غضب الله عليه و لعنه و اعد له عذابا عظيما" فهو اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة و غيره. و يؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار و لم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلي الله عليه و سلم ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل علي

\36a\

مسلما فقتله و رجع الي مكة مرتدا. او المراد بالخلود المكث الطويل لان الدلائل متظاهرة علي ان الكبيرة لا تخرج من الايمان. و ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم. و اختلفوا في الكبائر فقيل ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه. و قيل ما علم حرمته بقاطع. و عن النبي عليه الصلاة و السلام انها سبع: الاشراك بالله و قتل النفس التي حرم الله و قذف المحصنات و اكل مال اليتيم و الربا و الفرار من الزحف و عقوق الوالدين. و عن ابن عباس: الكباير الي سبعمائة اقرب منها الي السبع. و قيل صغر الذنوب كبرها بالاضافة الي ما فوقها او ما تحتها. و اكبر الكباير الشرك و اصغر الصغائر حديث النفس. و ما بينهما وسايط يصدق

عليها الامران فمن عز له امران منها و دعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب علي اجتناب الاكبر. و قيل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص و الاحوال الا يري انه تعالي عاتب نبيه صلي الله عليه و سلم في كثير من خطراته التي لم يعد علي غيره خطيئة فضلا ان يواخذه عليها. و قال سفيان الثوري: الكباير ما كان فيه المظالم بينك و بين العباد. و الصغاير ما كان بينك و بين الله تعالي لان الله يرحم و يعفو. و في حديث قدسي عن ابن عباس قال الله تعالي: و عزتي و جلالي ليس من الكباير كبيرة هي اعظم عندي من حب الدنيا". و قيل ترك الفرض او الواجب و لو مرة بلا عذر كبيرة. و كذا ارتكاب الحرام و ترك السنة مرة بلا عذر تكاسلا و تساهلا

\36b\

بها صغيرة. و كذا ارتكاب الكراهة. و الاصرار علي ترك السنة و ارتكاب الكراهة كبيرة. و قالت طايفة "لا كبيرة مع الفضل و لا صغيرة مع العدل". و قالت طايفة اخري يرفعونه الي رسول الله صلي الله عليه و سلم "لا صغيرة مع الاصرار و لا كبيرة مع الاستغفار". و طايفة اخري لم يجعلوا في الذنوب صغيرة الا عند نسبته بعضها الي بعض فطالبوا النفوس بايفاء حق الله تعالي بالانتهاء عما نهي و الوفاء بما امر. قيل و ينبغي ان يتفطن ان الكبيرة قد يقترن بها امره من الحياء و الخوف و الاستعظام لها فيلحقها بالصغاير. و قد يقترن بالصغيرة قلة الحياء و عدم المبالاة و الاستهانة بها فيلحقها بالكبائر. و هذا امر مرجعه القلب و هو قدر زايد علي مجرد الفعل و الانسان يعرف ذلك من نفسه و غيره.

و الله تعالي لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء من الصغاير و الكباير.

بالتوبة او بدونها. قال تعالي: "قل يا عبادي الذين اسرفوا علي انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله لا يغفر الذنوب جميعا" . و تقييده بالتوبة خلاف الظ و ايضا بيان الحكم حجة لنفسه و في حجته علق المغفرة بالمشيئة و لم يات معها شرط آخر. و حقيقة التوبة من ثلاثة امور علمٍ علم و حال و فعل. اما العلم فهومعرفة ضرر الذنوب و كونها حجابا بين العبد و بين كل محبوب فاذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين غالب علي قلبه ثار منها تألم القلب

\37a\

بفوات المحبوب و يسمي تألم بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندما و هو الحال فاذا غلب هذا الالم علي القلب و استولي انبعث القلب علي الترك في الحال و عزم ان لا يعود في الاستقبال و التلافي للماضي بقدر الامكان و هو الفعل. و اسم التوبة يطلق علي مجموعها و كثيرا ما يطلق علي معني الندم وحده و يجعل العلم كالسابق و المقدمة و الترك كالثمرة و التابع المتأخر و في الخبر: "الندم توبة". و قد يطلق علي ترك المعاصي في الحال و العزم علي تركها في المستقبل و تدارك ما سبق من التقصير في سابق الاحوال. و هي واجبة علي الفور. اما وجوبه فلقوله تعالي: "و توبوا الي الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون" . و اما كونها علي الفور ---- في تأخيرها من الاصرار المحرم. قالوا يلزم بتاخير التوبة عن كبيرة زمانا واحدا كبيرتان. الكبيرة الاولي و ترك التوبة عنها و اذا آخرها الي زمانين يلزم اربع كباير الاوليان و ترك التوبة منهما. و هكذا يتضاعف الذنوب بتضاعف ازمنة التأخير. قالوا من تاب عن كبيرة صحت توبته مع الاصرار عن كبيرة اخري و لا يعاقب بها. و من تاب عن الكباير لا يستغني عن توبة الصغيرة. و يجوز ان يعاقب بها عند اهل السنة و الجماعة. قالوا و يجوز ذهاب السيئات بالحسنات اي يعفو الله تعالي عن السيئات بترك الحسنات و لا يجوز تبطل الحسنات بشئوم المعاصي الا بالكفر.

\37b\

و يجوز العقاب علي الصغيرة و العفو عن الكبيرة اذا لم يكن عن استحلال لقوله تعالي: "و ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء" و قوله تعالي: "لا يغادر صغيرة و لا كبيرة الا احصاها" . و اما قوله تعالي: "ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم" . فقالوا المراد بالكباير فيه هو الشرك و الكفر و هو انواع كثيرة كاليهودية و النصرانية و

المجوسية و الوثنية. فجاز ان يطلق عليه اسم الجمع. و فيه وجه آخر و هو ان الخطاب خرج علي الجمع فكان كفر كل واحد منهم كبيرة فيكون المغفرة مقيدا بالمشيئة فيما دون الشرك. و جملة قولهم ان المومن بين الخوف و الرجاء يرجو فضل الله في غفران الكباير و يخاف عدله في العقوبة علي الصغاير.

و الاستحلال كفر لما فيه من الانكار بنصوص التحريم

و الشفاعة ثابتة للرسل و الاخيار في حق اهل الكباير بالمستفيض من الاخبار

كقوله عليه السلام: "شفاعتي لاهل الكباير من امتي" و قوله عليه السلام: "لكل نبي دعوة مستجابة و اني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي" و قالت عايشة رضي الله عنها: "اين اطلبك يوم القيامة يا رسول الله؟" فقال: "عند الحوض اسقي امتي". قلت: "فان لم اجدك؟" قال: "عند الصراط اقول رب سلّم سلّم". قلت: "فان لم اجدك؟" قال لا

\38a\

اخلوا هذه المواطن الثلاثة ما بقي من امتي واحد". و لما نزلت قوله تعالي: و لسوف يعطيك ربك فترضي" قال رسول الله صلي الله عليه و سلم: "يا جبرئيل اطلب رضاي في امتي" قال: "بلي يا محمد". قال: "و الله لاراضي ما بقي في النار واحد" قالوا و الملائكة يشفعون بني ادم لقوله تعالي: "يوم يقوم الروح و الملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن و قال صوابا" . و كذا العلماء في الشهداء و الفقراء و اطفال المؤمنين و الصابرين علي البلاء.

و اهل الكباير من المؤمنين لا يخلدون في النار

لمعني تواتر في الاخبار من انه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان. و قال سبحانه ان الله لا يظلم مثقال ذرة و ان تك حسنة يضاعفها و لا حسنة اكبر من حسنة الايمان. و المضاعفة قبل دخول النار يبطله اجماع اهل الايمان. فلا بد لاهل الايمان ليضاعف اجره من الخروج من النار.

و الايمان هو التصديق بما جاء به من عند الله.

فيما علم اجمالا و علم مجيئه به من عند الله بالضرورة فيجب التصديق اجمالا و تفصيلا فيما علم تفصيلا. قالوا المراد من المعلق ضرورة كونه بحيث يعلم العامة من غير افتقار الي النظر و الاستدلال كوحدة الصانع و وجوب الصلوة و حرمة الخمر و نحوها. و اما انكار الاجتهاديات فلا يضر في الايمان اجماعا. و اما من يؤول النصوص الواردة في حشر الاجساد و حدوث العالم و علم الباري

\38b\

بالجزئيات فانه يكفر لما علم من الدين قطعًا انها علي ظواهرها. و ليس التصديق ادراكا جزميا محضا بل لا بد في تحققه من الفعل و هو الذي يعبر عنه بالانقياد و اذعان و التسليم و رضاء القلب بما جزمه و عرفه. و الجزم الخالي عن احتمال النقيض يجامع الكراهة و تضايق القلب كما حصل للذين عرفوه صلي الله عليه و سلم كما عرفوا ابنائهم. ففرق بين المعرفة و التصديق اذ المعرفة يحصل بمجرد الجزم و التصديق لا يحصل الا بالتسليم و الانقياد. و بهذا الاعتبار يقع التكليف بالايمان. و من جعل التصديق مجرد المعرفة الجزمية و اثبت الاختيار في مباشرة اسبابها و صرف النظر اليها و رفع الموانع عنها و صحح وقوع التكليف بالايمان بهذا الاعتبار و انكر تحقق الفعل في التصديق لم يُمعِن النظر في الاقوال المأثورة عن السلف كما هو دأبه في غير موضع. و من حصل له المعرفة المكتسبة بالاختيار و لم ينكر باللسان و لم يباشر علي ما هو من علامات التكذيب و الانكار لكنه يتمني في قلبه نزول القران لرجل آخر غير هذا الرجل الذي انزل اليه القران اما لعداوة او استخفاف يكون كافرا كما صرحوا به في كتب الفتاوي. و قال سبحانه: "فلا و ربك لا يؤمنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدون في انفسهم حرجا و يسلموا تسليما" . فالحرج الحاصل في النفس ينافي حصول الايمان بل لا بد في تحققه من انشراح الصدر و انتفاء الكراهة. و لو كان

\39a\

الايمان مجرد الجزم المكتسب بالاختيار لكان الذي في قلبه حرج و كراهة مؤمنًا. قال الشيخ الامام ابو الحسن علي بن سعيد و ابو بكر عبد الله بن احمد رحمهما اله شرط صحة الايمان ان يعرف صحة قول رسول الله صلي الله عليه و سلم بدلالة المعجزة. و عند الشيخ ابو الحسن الاشعري رحمه الله ان يعرف ذلك بدلالة العقل -------- بعض اهل الكلام ما لم يعرف كل مسئلة بدلالة العقل علي وجه يمكنه دفع الشبهة لا يكون مؤمنا. و الصحيح ما عليه عامة اهل العلم ان الايمان هو التصديق مطلقا. فمن اخبر بخبر و صدّقه و صح ان يقال آمن به و آمن له. و هذا الخلاف فيمن نشأ علي شاهق الجبل و لم يتفكر في العالم و لا في الصانع عز و علا اصلًا فاخبر بما يجب الايمان به و صدقه فاما من نشأ بلاد المسلمين و سبح الله تعالي عند رؤية صنايعه فهو خارج عن حد التقليد. و قال الامام حجة الاسلام سعادة الخلق في ان يعتقد و ------ علي ما هو عليه اعتقادا جازما. و صورة الحق اذا انتقش به قلبه فلا نظر الي السبب المفيد له اهو دليلٌ حقيقيٌ او رسميٌ اقناعيٌ او قول بحسن اعتقاد في قائله او قبول بمجرد التقليد من غير سبب. فليس المطلوب الدليل المفيد بل الفائدة و هي حقيقة الحق في الله سبحانه و صفاته و كتبه و رسله و اليوم الآخر علي ما هو عليه فهو سعيد و ان لم يكن ذلك بدليل محررة كلامي و لم يكلف الله عز و جل عباده الا ذلك و ذلك معلوم

\39b\

علي الضرورة بجملة اخبار متواترة من رسول الله صلي الله عليه و سلم في موارد الاعراب عليه و عرضه الايمان عليهم و قبولهم ذلك و انصرافهم من غير تكليفه ايام التفكر في ادلة الوحدانية و ساير الصفات. فالواجب علي الخلق الايمان و هو عبارة عن تصديق جازم لا تردد فيه و لا يشعر صاحبه بامكان الخطاء فيه. و الايمان بالله تعالي فرض اتفاقا لكن العقل عندنا آلة يعرف بها حسن الاشياء و قبحها و وجوب الايمان و شكر المنعم. و المعرف و الموجب حقيقة هو الله تعالي لكن بواسطة العقل كما ان الرسول معرف للوجوب و الموجب حقيقة هو الله تعالي بواسطة الرسول حتي قال ابو ح ره: "لا عذر لاحد في الجهل ----- لما يري من خلق السماوات و الارض و لو لم يبعث رسول لوجب علي الخلق معرفته بعقولهم. و قال الاشعري لا يجب و لا يحرم بالعقل شيء فعنده جميع الاحكام المتعلقة بالتكليف متعلقات من السمع

و الاقرار به

قالوا الاقرار شرط اجراء احكام الاسلام و من صدق الرسول بقلبه فيما جاء به من عند الله فهو مؤمن فيما بينه و بين الله تعالي. و هو مروي عن ابي ح ره و اليه ذهب الشيخ ابو منصور الماتريدي و هذا لان ضد الايمان الكفر و هو التكذيب و الجحود و هما يكونان بالقلب فكذا ما يضادهما. اذ لا تضاد عند تغاير المحلين و كذا ما روي عنه صلي الله عليه و سلم: "يخرج من النار من كان في

\40a\

قلبه مثقال ذرة من الايمان" يدل علي ان محل الايمان هو القلب. و ايضا لا مستند الا اتباع موجب الالفاظ و وضع اللسان ان الايمان عبارة عن التصديق بالقلب و لا ينعدم الايمان من القلب بالسكون عن النطق الواجب كما لا ينعدم بالسكون عن الفعل الواجب. و قال فخر الاسلام: من صدّق بقلبه و ترك البيان من غير عذر لم يكن مؤمنا. فعلي هذا يكون الاقرار ركنا يحتمل السقوط كما في الاخرس و حالة الاكراه.

فاما الاعمال فهي تتزايد في نفسها و الايمان لا تزيد و لاتنقص

لانه عبارة عن التصديق القلبي. و هو باعتبار ذاته يأبي عن قبول الزيادة و النقصان ضرورة. فلا يتفاوت المؤمنون من اهل السماء و الارض في اصل الايمان و انما يتفاوتون باعتبار القوة و الضعف و درجات الايقان و هو استيلائه و غلبته علي القلب بحيث صار هو المتحكم و المتصرف في النفس فمن موقن ----- جوارحه و استقام كما امر و امنه مؤمن و مصدق يهوي به صر الهواء كالذرة و في البين درجات لا يعلم الا الله.

فما ينقل عن السلف من ان الايمان يزيد بالطاعة و ينقص بالمعصية و قد يتمسك فيه بقوله تعالي: "واذا تليت عليهم آياته زادتهم

ايمانا" و بما ورد في الاخبار: "يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان" محمول علي زيادة الايقان. فالخلاف لفظي بين اهل العرفان او المراد به زيادة الايمان بزيادة نزول المؤمن في آي القران كما يروي عن ابن عباس رضي الله عنه: "قالوا ايماننا مثل ايمان الملائكة

\40b\

و الرسل لانا صدقنا وحدانيته و ربوبيته و قدرته و سائر صفاته كما صدقت به الانبياء و الملائكة عليهم السلام. و عن محمد رحمه الله: "اكره ان يقول ايماني كايمان جبرائيل و لكن نقول آمنت بما آمن به جبرائيل

و الايمان و الاسلام واحد

و الاسلام يطلق علي وجهين احدهما بمعني الايمان و الآخر بمعني الايمان و الآخر بمعني الاسلام و الانقياد. قالوا و هذا الثاني هو الذي اثبته الله تعالي للاعراب مع نفي الايمان في قوله سبحانه: "قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا و لكن قولوا اسلمنا و لما يدخل الايمان في قلوبكم" . فان الاسلام بحسب اللغة اعم من الايمان و لكن لا يكون في الشريعة ايمان بلا اسلام و لا اسلام بلا ايمان و الدين اسم واقع علي الايمان و الاحكام كلها.

و اذا وجد من العبد التصديق و الاقرار صح ان يقول انا مؤمن حقا

لقوله تعالي: "اولئك هم المؤمنون حق" و قال تعالي: "قولوا آمنا بالله و ما انزل الينا " . و لا فرق بين ان يقول امنا و بين ان يقول انا مؤمن. و ايضا ان كل مؤمن يعلم انه مؤمن في نفسه و من كان مؤمنا في نفسه كان مؤمنا عند الله. كمن كان مسرورا او حزينا او شيخا او شابا في نفسه و من كان مؤمنا عند الله كان مؤمنا حقا؟

و لا ينبغي ان يقول انا مؤمن ان شاء الله

لان الاستثناء للشك و هو بحسب الظاهر يوهم الشك في اصل الايمان

\41a\

و هو كفر ايضا فينبغي الاتقاء عما يوهم. و قال ابراهيم: "اذا قيل لك أ مؤمن انت؟ فقل لا اله الا الله محمد رسول الله". و قال مرة: "قل انا لا اشك في الايمان و سؤالك اياي بدعة". و نقل عن بعض السلف من الاستثناء فانما هو للشك في الخاتمة لا في اصل الايمان.

و السعيد قد يشقي و الشقي قد يسعد

اذ الشقاوة و السعادة عباراتان عن الكفر و الايمان. و قد يتبدل الكفر بالايمان و الايمان بالكفر. و عند الاشعري العبرة للختم و لا عبرة للحال. فان كان في علم الله تعالي ان هذا الشخص المعين يختم له بالايمان فهو مؤمن و ان كان مكذبا بالله تعالي و رسوله ساجدا للصنم. و ان كان في علمه تعالي انه يختم له بالكفر نعوذ بالله يكون كافرا و ان كان مصدقا لله تعالي و لرسوله مخلصا آتيًا بالعبادات. و قالوا ان ابليس حين كان مصدقا معلما للملائكة كان كافرا و لا يخفي عليك ان الحق لا تكون معدومة لما انها لما انها ستعدم. و التغير يكون علي السعادة و الشقاوة دون الاسعاد و الاشقاء فهما من صفات اله تعالي و لا تغير علي الله و لا علي صفاته. لان التغير في الصفات يستلزم كونه تعالي زمانيا حادثا و لذا قالوا يجب الايمان بان الله تعالي سابق علي وجود العالم بذاته و صفاته اسمائه سبقا يليق بجلاله و كبريائه. و قالوا ان رؤيته للمرئيات و سمعه للمسموعات قديمة بالذات

\41b\

و المرئي و المسموع من الحادثات فهو تعالي يري الالوان و الاشكال قبل وجودها و يسمع الاصوات و الكلمات قبل وقوعها. و قالوا انه تعالي ادخل عباده الجنة قبل ان يطيعوه و ادخلهم النار قبل ان يعصوه و علم بالمكون قبل الكون و لا حجاب بينه و بين معلومه. و لا يجوز ان يكون له تعالي معلوم اليوم ما لم يكن معلوما له في الازل. اذ لا يخرج عن علمه في ازله شيء و لا يحتاج في اوصافه الي

شيء. و المراد من قولهم المعدوم نفي صرف لا يري المعدوم الذي لم يوجد ازلا و ابدا سواء كان ممتنعا او ممكنا فانه لا يري. اذ الامور المتعلقة بالروية هي الالوان و الاشكال مثلا و ليس المعدوم بلون و لا شكل. و اما قولهم يري الاشياء قبل وجودها معناه يري الاشياء الموجودة في وقت من الاوقات قبل وقت وجودها فهي مرئية له تعالي ازلا و ابدا من حيث وجودها و ليست بمرئية ازلا و ابدا من .حيث عدمها في اوقات اخري

و في ارسال الرسل حكمة اي منافع و مصالح راجعة الي العباد اذ لا يخلو فعلوه تعالي عن حكمة لقوله تعالي: "و هو الحكيم الخبير" و ليس الارسال انرا واجبا له تعالي بل لو تركه لكان الحكمة في تركه و لا يقال لو لا ترتب تلك المصالح علي الارسال لما ارسل حتي يلزم تعليل افعاله بالمصالح و الحكم بل نقول لو

\42a\

ارسل و لم يترتب تلك المصالح لترتيب عليه المصالح الاخري. فالمصالح غايات و عواقب حميدة لا انها علل اذ العلة ما لو لا هـ لامتنع الشيء. قالوا و لا يوصف الحق سبحانه بالقدرة علي الظلم و السفه و الكذب لان المحال لا تدخل تحت القدرة. و ذهب بعض الناس الي ان الارسال من الله محال لان الرسول لو اتي بما اقتضاه العقل ففيه عنه غنية. و لو بما يأباه العقل فهو مردود لان العقل حجة الله اجماعا و لا يتناقض حججه فيما يحيله يكون باطلا. قلنا يأتي بما قصر العقل عن معرفته و يرشد الي ما يستقل العقل في .معرفته

.و قد ارسل الله تعالي رسلا من البشر الي البشر مبشرين و منذرين و مبينين فالناس ما ما يحتاجون اليه في امور الدنيا و الدين

.ليبلغوا بذلك الدرجة العليا في العلم و العمل

.و ايدهم بالمعجزات الناقضات للعادات

.و المعجزات انر الهي خارق للعادة في دار التكليف لانها اصدق مدعي النبوة بحيث يعجز من يتحدي به عن معارضته بمثل

و اول الانبياء آدم عليه السلام و آخرهم محمد عليه السلام

و المعجزات الدالة علي نبوة نبينا صلي الله عليه و سلم كثيرة شائعة مستفيضة و اظهرها في جميع الحالات و المقامات و ابقائها علي الازمنة و الاوقات كتاب الله عز و جل. فان كمال بلاغته و نهاية فصاحته مشتملا علي الانباء

\42b\

بما كان و بما يكون مؤلفا تأليفًا لم يقدر احد من دون الله علي ان يأتي بسورة من مثله يوجب صدقه صلي الله عليه و سلم في دعواه. و ايضا ما تواتر من اخلاقه و افعاله صلي الله عليه و سلم من علمه و حلمه و شجاعته و سخاوته و صدقه في اقواله و مواعده و ما تواتر و شوهد من علماء الائمة من خوارق العادات و مكارم الاخلاق و توافقهم و تواطئهم علي التصديق بنبوته و الاطاعة لاحكامه و الاعتراف بالعجز عن بلوغ نهاية حكمه و اسراره مع تباين امكنته و تخالف ازمنتهم يوجب العلم بصدق دعواهقطعًا. فاي دليل اقوي من معجزاته و اي حجة اسطع من حججه فان طبع الله القلوب علي الطغيان و اعمي الابصار و بالاستكبار. فاعلم ان الآيات لا توجب الايمان و لا يخلصن الرهان عن قيد الخزلان و ايدي الحرمان و ما يغني وضوح الادلة لمن لم يساعده ----- الرحمة .و يفترض علي كافة الانام ان يشهد ان محمدا رسول الله خاتم الانبياء لا نبي بعده و كتابه خاتم الكتاب لا كتاب بعده

و هو مصدق لما سلف من الكتب قبله و شريعته ناسخة لشرايع ماضية عليها الا ما اقره كتابه و وافقه و انه هو الذي بشر به عيسي عليه السلام امته و هو الذي اخبر به موسي عليه السلام امته و هو المذكور في التوراة و الانجيل. و ان عيسي و موسي عليهما السلام لو ادركاه لزمهما الدخول في شريعته. و ان اطاعته و محبته فريضة علي كافة الانام. قال صلي الله عليه و سلم: "لايؤمن عبد حتي اكون احب اليه من اهله و ماله و الناس اجمعين". و قال عليه السلام: "لو ادركني موسي و عيسي عليهما السلام ما وسعهما الا الاتباع". فمن محبته عليه السلام ايثار سنته علي الرأي المعقول و نصرته بالمال و النفس و القول و اداء الفرايض و اجتناب المحارم

و التخلق باخلاقه و الاقتفاء لآثاره و الزهد في الدنيا و مجانبة اهل الغفلة و الهوي و الحب للعلماء و العباد و البغض للظلمة و المبتدعة و الخوف و الرجاء

\43a\

و الحياء و التسليم و التوكل و فراغ القلب لله تعالي و افراد الهم بالله تعالي و الاطمئنان بذكر الله تعالي. فاذا اتضح لك ثبوت نبوته و تيسر سبيل الاتباع بشريعته فعليك الاستغناء بالنصوص القرآنية عن المزخرفات الكلامية و الاعراض عن دلائل العقول البشرية بالوهم و الخيال و شبهة اهل الاهواء علي البدع و الضلال و الاستمساك بالسنة المؤدية الي الكمال.

و اما نبوات آدم و سائر الانبياء عليهم السلام فباخباره صلي الله عليه و سلم و قد روي في بيان عددهم في بعض الاحاديث كما روي انه صلي الله عليه و سلم سئل عن عدد الانبياء فقال: "مائة الف و اربعة و عشرين الف" و روي مائتي الف و اربعة و عشرون الفا.

و اخبار الآحاد علي تقدير الاشتمال علي الشرائط لا تفيد الا الظن و الظن لا يغني من العلم شيئا. و لذلك قال رحمه الله: و الاولي ان لا تقتصر علي عدد معين في التسمية فقد قال الله تعالي: "منهم من قصصنا عليك و منهم من لم نقصص عليك" . و لا يؤمن في ذكر العدد ان يدخل فيهم من ليس منهم او يخرج منهم من هو فيهم. و الايمان بالانبياء واجب و ان لم يعلم اساميهم و عددهم و من انكر واحدا منهم يصير كافرا. فان قيل هل آمنت بفلان النبي و كنت لا تعلم اسمه فلا يجوز ذلك الجواب علي الاطلاق لانه يجوز ان يكون نبيا و يجوز ان لا يكون نبيا. الجواب الصحيح ان تقول ان كان نبيا آمنت بجميع الانبياء و المرسلين و اِلاّ فلا.

و كلهم كانوا مبلغين عن الله صادقين ناصحين

و الانبياء عليهم السلام معصومون عن الكذب. اذ لو جاز الكذب عليهم لا يلزم الحجة لانه لا يعتمد علي خبرهم لاحتمال الكذب و قد ارسل الله الرسل

\43b\

لينقطع حجة العباد. ذا انما يكون اذا كان علي خبرهم الاعتماد. و قال الله تعالي: "رسلا مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس علي الله حجة بعد الرسل" . و انهم منزهون عن الصغاير و الكباير. قيل و هذه العصمة ثابتة للانبياء قبل النبوة و بعدها علي الاصح. و قال بعضهم العصمة عن الكفر ثابتة قبل الوحي و بعده و عن المعاصي بعد الوحي يجوز نادرا. و اختلفوا في كيفية العصمة فقال بعضهم هي محض فضل الله بحيث لا اختيار للعبد فيه. و ذلك اِما بخلقِهم علي طبع يخالف غيرهم بحيث لا يميلون الي المعصية و لا يفترون عن الطاعة كطبع الملائكة و اِما بصرف همتهم و جزبهم الي الطاعات جبرًا من الله بعد ان اَوْدعَ في طبايعهم ما في طبايعهم البشر. و قال الشيخ ابو منصور الماتريدي: العصمة لا تزيل المحنة اي الابتلاء و الامتحان بل هي لطفٌ من الله تعالي يحمل علي فعل الخير و يزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء و الاختيار. و ان جري عليهم شيءِ من غير قصدٍ و اختيارٍ فهو زلة ينبههم ربهم و لا يمهلهم. و ذهب بعضهم الي عدم اطلاق اسم الزلة علي افعال الانبياء عليهم السلام. و قالوا فعلوا الفاضل و تركوا الافضل فعُوتَبوا. و ما روي انَّ بصرَ داود عليه السلام وقع علي امرأة فعشقها و سعي حتي يتزوجها و ولد منها سليمان ان صح فلعله خطب مختوبته او استنزله عن زوجته و كان ذلك معتادا فيما بينهم. و ما قيل انه ارسل -------- الي الجهاد مرارًا و امر ان يتقدم حتي قُتِل فتزوجها فهو افتراء. و لذلك قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود علي ما يرويه القصَّاص جلدتُهُ مائة و ستين. و ذهب يعض الناس علي عدم عصمة الانبياء عليهم السلام تمسُّكًا بان آدم عليه السلام كان نبيًا قد اربكب المنهي عنه و المرتكب عاصٍ. و الجواب انه لم

\44a\

يكن نبيًّا حينئذ. و المدعي مطالَبٌ بالبيان و لئن سلم فلعله فعله ناسيا لقوله تعالي: "فنسي و لم نجد له عزما" . و لكنه عوتب بترك التَّحفّظ عن اسباب النسيان و لعله و ان حُطَّ عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظيم قدرهم كما قال عليه السلام: "اشد الناس بلاء الانبياء و الاولياء ثم الامثل فالامثل" و ادّي فعله الي ما جري عليه علي طريق السببية المتقررة دون المؤاخذة كتناول السم علي الجهل بشأنه. لا يقال انه باطل لقوله تعالي: "ما نهاكما ربكما و قاسمهما" الايتان لانه ليس فيهما ما يدل علي ان تناوله حين ما قاله ابليس فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاتًا لحكم الله تعالي الي نسي ذلك آدم و زال المانع فحمله الطبع عليه. و ايضا يجوز انه صلي الله عليه و سلم اقدم عليه بسبب اجتهادٍ اخطأ فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الي عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها و كان المراد بها الاشارة الي النوع كما ورد انه صلي الله عليه و سلم اخذ حريرا و ذهبا بيده و قال: "هذان حرامان علي ذكور امتي حل لاناثها". و انما جري عليه ما جري تفظيعا لشأن الخطيئة و زجرا لاولاده عنها. فان قيل انه تعالي لقَّنه التوبة و هي الرجوع عن الذنب و الندم عليه. قلنا امرنا بالتوبة تلافيا لما فات عليه فجري ما جري معاتبة علي ترك الاولي. فان قيل فلما اسند عليه صلي الله عليه و سلم العِصيانَ و الغَيَّ؟ و قال الله تعالي: "و عصي آدم ربه فغوي" قلنا لعلَّه تعظيما

\44b\

للزلة وزجرا للاولاد عنها و كلهم كانوا علي اصل واحد في الدين. قال الله تعالي: "شرع لكم من الدين ما وصّي به نوحا و الذين اوحينا اليك و ما وصينا به ابراهيم و موسي و عيسي ان اقيموا الدين و لا تتفرقوا فيه" بين و اظهر لكم من الدين دين نوح ومحمد و من بينهما من ارباب الشرايع و هو الايمان بما يجب تصديقه من الاصل المشترك فيما بينهم. و اما فرع الشرايع فتختلف كما قال: "لكل جعلنا منكم شرعة و منهاجا" . بل قالوا اختلاف هذه الامة في علم الاحكام رحمة. و الاختلاف في علم التوحيد و الاسلام ضلالة و بدعة. و الخطأ في علم الاحكام مغفورة بل صاحبه فيه مأجور بخلاف الخطأ في علم التوحيد و الاسلام. فانه كفرٌ او زورٌ و صاحبه مأزور.

و افضل الانبياء محمد عليه السلام

اجمع المسلمون من اهل السنة و الجماعة علي ان الرسل افضل من الانبياء عليهم السلام. و الرسل افضل بعضهم من بعض. و افضلهم محمد صل الله عليه و سلم لقوله عليه السلام: "انا اكرم الاولين و الآخرين عند الله و لا فخر". و في الاحاديث القدسية خطابا لآدم عليه السلام: "لو لا محمد ما خلقت الدنيا و الآخرة و لا السماوات و لا الارض و لا العرش و لا الكرسي و لا اللوح و لا القلم و لا الجنة و لا النار و لو لا محمد ما خلقتك يا آدم" . و ما ورد في الحديث: "لا تخيروني علي موسي و لا تفضلوا بين الانبياء"، "و ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متي". فلعله مخصوص بما جري الي المنقصة و الخصومة و قال بعضهم انه ورد قبل العلم او محمول

\45a\

علي التواضع.

و الملائكة عباد الله تعالي العاملون بامره

معصومون عن الذنوب مكرّمون عند الله و ما لهم شغل سوي عبادة الله. و اما روي ان هاروت و ماروت مُثِّلا بشرين و ركب فيهما الشهوات فتعرضا لامرأة يقال لها زهرتٌ فحملتهما علي المعاصي و الشرك ثم صعدت الي السماء بما تعلمت منهما و بقيا محبوسين ببابل. فلعله رموز و اشارات او مرادهم من هاروت الروح و من ماروت القلب و انهما من العالم العلوي الروحاني أُهبِطا في ارض العالم الجسماني ببابل الجسد لاقامة الحق و ازهاق الباطل. ففافتتنا بزُهرةِ زَهرة الدنيا و ابتعا خداعها و شربا خمر الحرص و الغفلة و عبدا اصنام الهوي و اشتغلا بالعلوم الضارة الغير النافعة مثل شبهات الفلاسفة و بدعيات الكلام و نبذ كتاب الله وراء ظهورهما و علَّما الناس سحر العلوم المزخرفة و سحَّرا بها قلوب اهل الغفلة و صارا خادمي الدنيا فصعدت الدنيا الي السماء المخدومية بما تعلمت

.مهما افتتانهما بها و بقيا محبوسين بالتعلق الشهوانية
و لا توصفون بذكورة و لا انوثة و ليس لهم من نعمة الجنان حظا و اختلفوا في الرؤية. فقال بعضهم لا حظ لهم من رؤية الرحمان لان ذلك الوعد للمؤمنين من البشر. و قال بعضهم لهم حظ في الحظوظ الروحانية. و لا يجوز شتم الملائكة و بغضهم و من شتم ملكا او "ابغضه يصير كافرا كما في الانبياء عليهم السلام لقوله تعالي: "من كان عدوا لله و ملائكته و جبريل و ميكال فان الله عدو للكافرين
.
و لله تعالي كتب انزلها علي انبيائه و بين فيها امره و نهيه و وعده و وعيده
و جميع كتب الله كلام الله غير مخلوق و من انكر كلمة من الكتب يكفر
\45b\

فلا فرق بين الكتب و لا تفضيل لواحد منها علي الآخر من جهة ان كله كلام الله تعالي. و اما تلاوة بعضه يجوز ان يكون افضل من البعض. و افضل الكتب القرآن. و قراءة الكتب الماضية و كتابتها صارت منسوخة بالقرآن و لا يجوز لنا مطالعة كتبهم لما روي ان قوما من المسلمين كتبوا شيئا من اليهود فأتوا به النبي صلي الله عليه و سلم فقال: "فقال كفي بها حماقة قوم او ضلالة قوم ان رغبوا عما اتاهم نبيهم الي ما اتي به غير نبيهم". فنزلت: "او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلي عليهم ان في ذلك لرحمة و ذكري لقوم . " يؤمنون
.و المعراج لرسول الله صلي الله عليه و سلم في اليقظة بشخصه الي السماء ثم الي ما شاء الله تعالي من العلي حق
اما من مكة الي بيت المقدس فبقوله تعالي: "سبحان الذي اسري بعبده ليلا من المسجد الحرام الي المسجد الاقصي" و المسجد الاقصي هو بيت المقدس. و اما من المسجد الاقصي الي السماء و الي حيث شاء الله تعالي صح بالاخبار المشهورة. و قد اخبر قريشًا عن ------- و عدد جمالها و احوالها و اخبرهم ايضا بما رأي في السماء من العجايب و انه لقي الانبياء و بلغ البيت المعمور و سدرة المنتهي. و كان الاسراء قبل الهجرة بسنة. في الخلاصة من انكر الاسراء من مكة الي بيت المقدس فهو كافر و اِن انكر المعراج .من بيت المقدس لا يكفر
.و كرامات الاولياء حق للمشهور من الاخبار و المستفيض من حكايات الاخيار
و الولي هو العارف بالله و صفاته و افعاله علي ما نطقت به الشريعة و اتقي الله في الاجتناب عن المعاصي و الاتيان بالطاعات و تنزه --------- عما يشغل سره عن الحق و تبتل الي الله
فتظهر الكرامات علي طريق نقض العادة للولي من قطع المسافة البعيدة في المدة القليلة
"لما روي عن سري بن يحي قال: "كان حبيب العجمي يُري بالبصرة يوم التروية يُري بعرفة عشية عرفة

\46a\

.و ظهور الطعام و الشراب
كما روي عن عبد الله الهروي: قال دخلت الي م في السَّحر فجلست الي زمزم فاذا شيخ قد دخل من باب زمزم قد سدل ثوبه علي الوجه فاتي البئر فنزع دلوا و اخذت فضلته فشربت فاذا سويق لوز لم اذق قط اطيب منه ثم التفت فاذا الشيخ قد ذهب. ثم عدت من الغد في السحر فجلست الي ---- فاذا الشيخ قد دخل من باب زمزم فاتي البئر فنزع الدلو فشرب و اخذت فضلته فشربت فاذا ماء مضروب بعسل لم اذق قط اطيب منه ثم التفت فاذا الشيخ قد ذهب. ثم عدت من الغد في السحر فجلست الي زمزم فاذا الشيخ قد دخل من باب زمزم قد سدل ثوبه علي وجهه فاتي البئر فنزع الدلو فشرب فاخذت فضلته فشربته فاذا سكر مضروب بلبن لم اذق قط اطيب منه فاخذت ملحفته فلففتها علي يدي فقلت: "يا شيخ بحق هذا البيت عليك من انت؟" قال: "تكتم عليَّ؟ قلت: ""نعم". قال: "حتي اموت". قلت: "نعم". قال: "انا سفيان بن سعيد الثوري

و اللباس عند الحاجة
كما روي عن عثمان بن عطاء عن ابيه قال: لما مات اويس القرني تنافس اصحابه حفر قبره قال فحفرنا فاذا بصخرة ملحودة قال و تنافسوا في كفنه فنظروا فاذا في عتبته ثياب ليس مما نسجه بنو آدم. قال فكفنوه في تلك الثياب و دفنوه في تلك القبر.
و المشي علي الماء
كما في روي عن محمد بن زياد امع قال: كان ابو مسلم اذا غزي ارض الروم فمرُّوا بنهر قال اجيزوا بسم الله قال فيمر بين ايديهم فيمرون بالنهر الغمر فربما لم يبلغ من الدواب الي الركب فاذا جاوزوا قال للناس هل ذهب لكم شيء فانا له ضامن فقال بعضهم مخلاّتي وقعت في النهر
\46b\
فاتبعني فاذا المخلات قد تعلقت ببعض اعواد النهر.
و الطيران في الهواء
كما ينقلون عن جعفر بن ابي طالب و لقمان السرخسي
و كلام الجماد
كما روي عن سلمان و ابي الدرداء رضي الله عنهما انه سبحت قصعت عندهما و سمعا تسبيحهما
و العجماء
كما يروي عن سفيان بن عيينة قال:" قال لي الثوري رحمه الله: كنت ذات ليلة في مسجد الحرام فخرجت في ارض الروم في بعض الحوايج فاذا انا ببعض كلاب الحرّاس فهالني والله ان اجوز. فاذا كلب من الكلاب قال لي سفيان قال قلت سفيان قال: امض لا بأس عليك انما بأسي علي من يبغض ابا بكر و عمر رضي الله عنهما"
و اندفاع المتوجه من البلاء كما روي المستغفري انه لما فتحت مصر اتي اهلها الي عمر بن عاص رضي الله عنه فقالوا: "ايها الامير ان ------- هذا سنة لا يجري الا بها. قال لهم: و ما ذلك؟ قالوا: اذا كانت اثنتا عشرة ليلة خلون من هذا الشهر عمدنا الي جارية بكر بين ابويها فارضينا ابويها فجعلنا عليها من الحلي و الثياب افضل ما يكون ثم القينا في هذا النيل. فقال عمرو: "ان هذا امر لا يكون ابدا في الاسلام، ان الاسلام يهدم ما كان قبله". فاقاموا ثلثة اشهر لا يجري قليلا و لا كثيرا حتي سهموا بالجلاء فلما رأي ذلك عمرو كتب ذلك الي عمر بن الخطاب رضي الله تعالي عنهما بذلك فكتب عمر رضي الله عنه: "انك قد اصبت الذي فعلت و ان الاسلام يهدم ما كان قبله". و بعث ببطاقة في داخل كتاب و كتب اليه: "اني قد بعثت اليك ببطاقة في داخل كتاب فالقيها في النيل". فلما قدم الكتاب الي عمرو بن العاص اخذ البطاقة ففتحها فاذا
\47a\
فيها: "من عبد الله عمر امير المؤمنين الي نيل مصر امّا بعد فانك ان كنت تجري تجري من قبلك فلا تجري و ان كان الله الواحد القهار سبحانه هو الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار ان يجريك". فالقي البطاقة في النيل و قد تهيأ اهل مصر للجلاء و الخروج منها لانها لا تقوم مصلحتهم فيها الا بالنيل فاصبحوا و قد اجراه الله تعالي ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة و قطع الله تعالي تلك السنة السوء عن اهل مصر الي اليوم.
و كفاية المهم من الاعداء
كما روي ابن المنكدر ان سفينة مولي رسول الله صلي الله عليه و سلم اخطأ الجيش بارض الروم -------- فانطلق هاربا يلتمس الجيش فاذا هو بالاسد فقال: "يا ابا الحارث انا مولي رسول الله صلي الله عليه و سلم كان من امري كيت و كيت" فاقبل الاسد له -------- حتي قام الي جنبه كلما سمع صوتا اهوي اليه ثم اقبل يمشي الي جنبه حتي بلغ الجيش ثم رجع الاسد.

و غير ذلك من الاشياء

كما روي عن مالك بن انس ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس بالمدينة فقال: "يا سارية بن زنيم الجبل". قال: "فانكر الناس ذكر سارية و سارية بالعراق". فقال الناس لعلي رضي الله عنه: "انا سمعنا عمر يذكر ساؤية و هو بارض العراق علي المنبر".

فقال ويحكم دعوا عمر ----- فقلما دخل في شيء الا خرج منه". فلم يثبت ان جاء رسول ان سارية لقي العدو فهزمهم ثم جاء بالغنيمة الي سفح الجبل فاراد العدو ان يحول بينهم و بين الغنيمة فاتاهم نداء من السماء: "يا سارية بن زنيم الجبل الجبل". و عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: "امر ابو بكر رضي الله عنه

\47b\

و قال: "اذا ما متُّ فجيئوا بي علي الباب يعني باب البيت الذي فيه قبر رسول الله صلي الله عليه و سلم فادفعوه فان فتح لكم فادفنوني و الا فردوني الي مقابر المسلمين". قال جابر رضي الله عنه: "فانطلقنا فدققنا الباب و قلنا: "ان هذا ابو بكر قد اشتهي ان يدفن عند النبي النبي ففُتِح الباب و لا ندري من فتح لنا". و قال لنا: "ادخلوا اِدفنوا و كرامةً". و لا نري شخصا و لا نري شيئا". و شبهة المنكر ان لو جاز ذا لانسد طريق الوصول الي معرفة النبي عليه السلام و الرسول لاشتباه المعجزة بالكرامة. اشار المصنف الي الجواب عن ذلك بقوله

و يكون ذلك معجزة للرسول الذي ظهرت هذه الكرامة لواحد من امة لانه يظهر بها انه ولي و لن يكون ولياً الا و ان يكون محقاً في ديانته. و ديانته التصديق و الاقرار برسالة رسوله. فمن كان معجزة للرسول مبطلا للمعجزة و سادًّا لطريق الوصول الي معرفة النبي فهو ضال عن سواء السبيل. علي ان المعجزة يقارن دعوي النبوة و الولي لو ادعي النبوة لكفر من ساعة و سار عدوا لله تعالي و لا يظهر علي يده نقض العادة اصلاً. و ايضا صاحب المعجزة يظهرها و صاحب الكرامة يجتهد في الكتمان خوفا من الاغترار لدي الاشهار و افضل البشر بعد نبينا ابو بكر الصديق باتفاق من اهل السنة و الجماعة. و عن ابن مسعود ان النبي صلي الله عليه و سلم قال: "لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا و لكنه اخي و صاحبي و قد اتخذ الله صاحبكم خليلا". و يروي عنه عليه السلام: "انا اول من تنشق عنه الارض ثم ابو بكر ثم عمر". و يروي: "اما انك يا ابا بكر اول من يدخل الجنة من

\48a\

امتي". و لما خرج من الغار قال: "ابشر يا ابا بكر فان الله تعالي يتجلي للناس عامة و لك خاصة". و كان اسلام عثمان و طلحة و زبير و سعد و ابي عبيدة بن الجراح ببركة دعوته في اول الاسلام.

ثم عمر الفاروق

قال عليه السلام: "ابو بكر و عمر سيد الكهول اهل الجنة من الاولين و الآخرين الا النبيين و المرسلين". و عن علي رضي الله عنه لعن الله من ------ لابي بكر و عمر الا حسن اخوا رسول الله صلي الله عليه و سلم و وزيراه ثم نهض دامع العين يبكي.

ثم عثمان ذي النورين و عليه الجمهور. و فضايله بين الصحابة كتجهيز جيش العسرة و اقامة النبي عليه السلام يده مقام يده في بيعة الرضوان و تزويج النبي عليه السلام بنته رقية و ام كلثوم منه و جمعه القران مشهورة. ويقال ما تزوج احد من بني آدم ابنتي نبي سواه لذلك لقب رضي الله عنه بذي النورين.

ثم علي المرتضي قال عليه السلام: "يا علي لا يحبك الا مؤمن تقي و لا يغضبك الا منافق شقي". و يروي انه عليه السلام قال يوم خيبر: "لاعطين هذه الرأية رجلاً غدا يفتح الله يديه يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله" ثم اعطي الرأية عليا رضي الله عنه. ثم اعلم ان جميع الصحابة رضي الله مفضلون علي من عداهم من الائمة لقوله صلي الله عليه و سلم: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم". قال الراوي و هو عمر ابن حصين رضي الله تعالي عنه: "فلا ادري اذكر بعد قرني قرنين او ثلاثة". اخرجه البخاري و

مسلم و الترميذي و ابو داود و النسائي رحمهم الله. و الصحابة هم المختارون بصحبة رسول الله صلي الله عليه و سلم القائمون بنصرة دين الله عز و جل. فمن السنة ان يحقق

\48b\

محبتهم علي العموم. و اما ما روي انس رضي الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه و سلم: "مثل امتي مثل مثل المطر لا يدري اوله خير ام اخره". فقالوا ---- يتحمل هذا الحديث علي التردد في فضل الاول علي الآخر فان القرن الاول هم المفضلون علي سائر القرون من غير شبهة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم و في الرابع اشتباه من قبل الراوي. و انما المراد به نفعهم في بث الشريعة و نقل عن اعلام الهدي. ان قبلت النصح فامسك عن التعرف في امر الصحابة و اجعل محبتك للكل علي السواء و امسك عن التفضيل و ان ----- باطنك فضل احدهم علي الآخر فاجعل ذلك من جملة اسرارك. فما يلزمك اظهاره و لا يلزمك ان تحب احدهم اكثر من الآخر بل يلزمك محبة الجميع و الاعتراف بفضل الجميع و يكفيك في العقيدة السليمة ان تعتقد صحة خلافة ابي بكر و عمر و عثمان و علي رضي الله تعالي عنهم.انتهي. اقول لعل تفضيل ابي بكر علي عمر و تفضيل عمر علي غيرهم يقرب ان يكون قطعيا. الا يري انهم جعلوا تفضيل الشيخين من علامات اهل السنة و الجماعة. نعم توقف بعضهم في تفضيل عثمان علي عليّ رضي الله تعالي عنهما. ثم قيل لا يفضل احد علي احد بعد الصحابة الا بالعلم و التقوي. و قيل افضل اولادهم علي ترتيب فضل ابائهم الا اولاد فاطمة رضي الله عنها فانهم يفضلون علي اولاد ابي بكر و عمر و عثمان لقربهم من رسول الله صلي الله عليه و سلم. و لعل .هذا التفاضل بعد--- المساواة في العلم و التقوي. و الا فلا شك ان الاكرم عند الله هو الاتقي

و خلافتهم علي هذا الترتيب ايضا

اجتمعت الصحابة رضي الله عنهم بعد النبي صلي الله عليه و سلم علي خلافة الصديق رضي الله عنه بعد المشاورة و المراجعة. اما استدلال

\49a\

بامر الصلاة فانه عليه السلام قال: "مروا ابا بكر ليصل بالناس". و هي في اعظم اركان الدين فاستدلوا بهذا علي انه اولي بالخلافة منهم و لهذا قال عمر رضي الله عنه: "رضيك رسول الله لامر ديننا افلا نرضاك لامر دنيانا. و اما بان الله جل نائه نظر لأمة حبيبه فجمع ارائهم المختلفة علي خلافة الصديق رضي الله عنهم و الاجماع حجة موجبة للعلم قطعا. قالوا و ما نص رسول الله صلي الله عليه و سلم علي امامة امام اذ لو كان لما خفي علي الاصحاب و لم يكن ابو بكر اماما الا بالبيعة بعد المشاورة و المراجعة. و تقدير النص علي غيره نسبته للصحابة كلهم الي مخالفة رسول الله صلي الله عليه و سلم و خرق للاجماع. ثم لما آيس من حيوة دعي عثمان رضي الله عنهما و املي كتاب عهده لعمر رضي الله عنه فقال: "اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد ابو بكر بن قحافة في آخر عهده في الدنيا خارجا عنها و اول عهده بالاخرة داخلا فيها حين يؤمن الكافر و يأتمر العاجز اني استخلف عمر بن الخطاب فان عدل فذلك ظني و رأي فيه و ان جار فلكل ---امراء ما اكتسب و الخير اردت و لا اعلم الغيب و سيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون". فلما كتب ختم الصحيفة و اخرجها الناس و امرهم ان يبايعوا بمن في الصحيفة فبايعوا حتي مرت بعلي كرم الله وجهه فقال بايعنا لمن فيها و ان كان عمر فوقع الاتفاق علي خلافته و الله تعالي اعز الدين ببركة امامته و نشر في اقطار الارض و اذل الجبابرة و قهر الاكاسرة حتي بلغ فتوحه الي اقصي خراسان و اطراف سجستان. ثم انه ----- رضي الله عنه ترك الامامة شوري بين ستة في عثمان و علي و طلحة و زبير و عبد الرحمن بن عوف و سعد بن وقاص و قال: "لا يخرج

\49b\

الامامة منهم". فجعلوا الاختيار الي عبد الرحمن و رضوا بحكمه فاخذ بيده علي رضي الله عنه و قال: "اوليك علي ان تحكم بكتاب الله و سنة رسول الله صلي الله عليه و سلم و سيرة الشيخين". فقال علي رضي الله عنه: "احكم بكتاب الله تعالي و السنة رسول الله

عليه الصلاة و السلام و اجتهد برأيي". ثم قال عثمان: "ثم قال عثمان رضي الله عنه فاجاب الي ما دعاه و عرض عليهما ثلث مرات فكان -------- الجواب الاول و عثمان يحب الي ما يدعوه ثم بايع عثمان و بايعه الناس و رضوا بامامته. و انما قال قوله: "اجتهد برأي" لان مذهب ان المجتهد يجب عليه اتباع اجتهاده و لا يجوز له تقليد غيره عن المجتهدين. و مذهب عبد الرحمن و عثمان رضي الله عنهما ان المجتهد يجوز له ان يقلد غيره اذا كان افقه منه و اعلم بطريق الدين و ان يترك الاجتهاد نفسه و يتبع اجتهاد غيره و قد ورد -------- بالذين من بعد ابو بكر و عمر رضي الله عنهما. و لعل عليا رضي الله عنه حمل الخطاب لمن لا يصح للاجتهاد. ثم اتفقت الامة علي امامة علي رضي الله عنه اتفاق لم يوجد في حق غيره و ثبت بالبيعة كما روي انه لما استشهد عثمان رضي الله تعالي عنه هاجت الفتنة بالمدينة و قصد قتل عثمان الاستلاء عليها و القتل باهلها فاراد الصحابة رضي الله عنهم تسكين الفتنة فعرضوا الخلافة علي علي رضي الله عنه فامتنع عليهم و اعظم قتل عثمان و لزم بيته ثم عرضوا بعده طلحة فابي ذلك و كرهه ثم عرضوا علي الزبير فامتنع ايضا. فلما مضت ثلاثة ايام من قتل اجتمع المهاجرون و الانصار و سألوا عليا رضي الله عنه هذه الامر و ناشدوه الله تعالي في حفظ الاسلام و صيانة دار الهجرة فقبلها بعد ان رآه مصلحة فبايعوه. و هو يومئذ افضل هذه الامة و اعلمهم و اورعهم. و ليس من ------ ثبوت الخلافة اجماع الامة علي ذلك بل متي عقد بعض علماء صلحاء

\50a\

الامة لمن هو صالح لذلك انعقدت وليس لغيره بعد ذلك ان يخالف. و لا وجه الي اشتراط الاجماع لما فيه من تأخير الامة عن وقت الحاجة اليها علي ان الصحابة لم يشترطوا فيها الاجماع عند الاختيار و المبايعة. و انما لم يقتل قتلة عثمان لانهم كانوا بغاة. اذ الباغي من له منعة و تأويل و كانوا في قتله متأولين و كان لهم منعة. و الحكم في الباغي اذا انقاد لامام اهل العدل ان لا يؤاخذ بما سبق منه من اتلاف اموال اهل العدل و سفك دمائهم و جرح ابدانهم فلم يجب عليه قتلهم و لا دفعهم الي الطالب. و من يري الباغي مؤاخذ بذلك فانما يجب علي الامام استيفاء ذلك منهم عند انكسار شوكتهم و تزق منعتهم و وقوع الامن له عن اثارة الفتنة و لم ---- من هذه المعاني حاصلا بل كانت الشوكة لهم باقية و المنعة قائمة و عزايم القوم علي الخروج علي من طالبهم بدمه ثابتة. و عند تحقق هذه الاسباب يقتضي ---- للصائب الاغماص عما فعلوا و الاعراض عنهم. و معاوية رضي الله عنه كان محيط الا انه فعل ما فعل عن تأويل فلم يصير به فاسقا. ثم لا شك ان من حارب عليا رضي الله عنه من الصحابة و من غيرهم علي التاويل لم يصير به كافرا و لا فاسقا. و اختلف اهل السنة في تسميتهم باغيا فمنهم من امتنع عن ذلك و يقول ليس ذا من اسماء من اخطأ في اجتهاده. و منهم من يطلق ذلك متشبثا بقوله عليه السلام لعمار: "تقتلك الفئة الباغية" و بقوله علي رضي الله عنه: "اخواننا بغوا علينا". و اما ما يقال ما قتل عمار الا علي حيث حمله علي المقاتلة فيلزم عليه ان يقال ما قتل حمزة الا رسول الله صلي عليه و سلم.

و الخلافة ثلاثون سنة ثم بعدها ملك و امارة

فمعاوية رضي الله عنه و من بعده لم يكونوا خلفاء بل كانوا ملوكا

\50b\

و امراء لعل المراء منها الخلافة الكاملة التي لا يشوبها شيء من المخالفة و ترك المتابعة ثم ثلاثين سنة قد يكون خلافة و قد تكون امارة و روي احمد عن حذيفة مرفوعا: "تكون النبوة فيكم ما شاء الله ان تكون ثم يرفعها الله تعالي ثم تكون خلافة علي منهاج النبوة ما شاء الله ان تكون ثم يرفعها الله تعالي ثم تكون ملكا عاضا ثم يرفعها الله تعالي ثم يكون ملكا جبريا فتكون ما شاء الله ان تكون ثم يرفعها الله تعالي ثم تكون خلافة علي منهاج النبوة". و قد تم الثلاثون ---------- فسنتان لابي بكر و عشرة لعمر و لثنا عشر لعثمان و ستة لعلي رضي الله عنهم.

و المسلمون لابد لهم من امام الامامة اياسة عامة لحفظ مصالح الناس دينا و دنيا و زجرهم عما يضرهم يضرهم في البداية. و لا يجوز نصب امامين في زمان واحد خلافا لبعض الروافض و الكرامية. و ذلك باطل يؤدي الي لزوم طاعة شيخين في احكام متضادة في زمان

واحد و انه محال. و لو عقد الامامة لاثنين كان الامام من عقد له اولا و لو عقد لهما معا بطلا فيستأنف لاحدهما او لغيرهما. و ذهب صاحب الصحايف الي تجويز نصب امامين اذا تباعد الجيش لا يصل احدهما الي الآخر. و لنا ان الانصار رضي الله عنهم (فما) قالوا: "منا امير و منكم امير". قال ابو بكر رضي الله عنه: "لا يصلح سفيان في غمد واحد" انقادوا له و لم ينكروا عليه فكان اجماعا منهم. و كذا يرده ظاهر قوله عليه السلام: "اذا بويع الخليفتين فاقتلوا الآخر منهما" رواه مسلم. قالوا: "الامر تقتله محمول علي ما اذا لم يندفع الا بالقتل".

يقوم بتنفيذ احكامهم و اقامة حدودهم و سد ثغورهم و تجهيز جيوشهم و اخذ صدقاتهم و قهر المتغلبة و المتصلصلة و قطاع الطريق و اقامة الجمع و الاعياد و قطع المنازعة الواقعة بين العباد و قبول الشهادة

\51a\

القائمة علي الحق و تجويز الصغار و الصغاير الذين لا اولياء لهم و قسم الغنايم و نحو ذلك. و اجتمعت الصحابة رضي الله عنهم علي وجوب نصب الامام. قالوا: "سمعنا رسول الله صلي الله عليه و سلم: "من مات و لم يري علي نفسه اماماً مات ميتة جاهلية" فلا يجوز ان يمضي علينا يوم و لا نري لانفسنا اماماً". و ما في رواية ابن عمر: "من مات و ليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية" اخرجه مسلم.

و انما اختلفوا في التعيين الي ان انعقد الاجماع علي نصب الصديق رضي الله عنه.

ثم ينبغي ان يكون الامام ظاهرا لا مختفيا و لا منتظرا

اذ لا بد من القيام بما نصب هو له و نصب من لا يمكن القيام بذلك غير مفيد. و اعلم ان طاعة الامراء و القضات واجب ما داموا علي الحق لقوله تعالي: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا " . قالوا المراد من اولب الامر امراء المسلمين فقيل علماء الشرع. و معني الرد الي الله و الرسول الرجوع الي كتابه و سنة رسول بعده و السوال عنه في زمان. عن ابن عباس رضي الله عنه: "خالد بن الوليد في سرية إلى حي من أحياء العرب، وكان معه عمار بن ياسر، فسار خالد حتى إذا دنا من القوم عرس لكي يصبحهم، فأتاهم النذير فهربوا غير رجل قد كان أسلم ، فأمر أهله أن يتأهبوا للمسير ، ثم انطلق حتى أتى عسكر خالد ، ودخل على عمار فقال: يا أبا اليقظان! إني منكم، وإن قومي لما سمعوا بكم هربوا، وأقمت لإسلامي، أفنافعي ذلك ، أو أهرب كما هرب قومي ؟ فقال : أقم فإن ذلك نافعك . وانصرف الرجل إلى أهله وأمرهم بالمقام ، وأصبح خالد فأغار على القوم، فلم يجد غير ذلك الرجل، فأخذه وأخذ

\51b\

ماله، فأتاه عمار فقال: خل سبيل الرجل فإنه مسلم، وقد كنت أمنته وأمرته بالمقام. فقال خالد: أنت تجير علي وأنا الأمير؟ فقال: نعم أنا أجير عليك وأنت الأمير. فكان في ذلك بينهما كلام، فانصرفوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبر الرجل، فأمنه النبي صلى الله عليه وسلم وأجاز أمان عمار ونهاه أن يجيز بعد ذلك على أمير بغير إذنه. قال: واستب عمار وخالد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأغلظ عمار لخالد، فغضب خالد وقال: يا رسول الله أتدع هذا العبد يشتمني؟ فوالله لولا أنت ما شتمني. وكان عمار مولى لهاشم بن المغيرة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا خالد، كف عن عمار فإنه من يسب عمارا يسبه الله، ومن يبغض عمارا يبغضه الله". فقام عمار، فتبعه خالد فأخذ بثوبه وسأله أن يرضى عنه، فرضي عنه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأمر بطاعة أولي الأمر". عن ابن عمر رضي الله عنهما كتب الي عبد المالك بن مروان يبايعه و يقول: "اقر لك بالسمع و الطاعة علي سنة الله و سنة رسوله فيما استطعت".

و يكون من قريش لقوله عليه السلام: "الائمة من قريش". و قد سلمت الانصار الخلافة لقريش بهذا الحديث. و لا يختص ببني هاشم و اولاده علي اطلاق الحديث و لا يشترط ان يكون معصومًا. فيشترط ان يكون من اهل الولاية المطلقة الكاملة يعني يشترط ان يكون

مسلمًا حرًا ذكرًا عاقلًا بالغًا. اما الاسلام فلانه ما جعل الله للكافرين علي المؤمنين سبيلا. و اما الحرية و البلوغ و العقل فلان العبد و الصبي و المجنون لا ولاية لهم علي انفسهم فكيف يكون لهم الولاية علي غيرهم؟! و اما الذكورة فلان النساء امرن بالقرار في البيوت فكان مبني حالهن علي الاستتار فلا تقدر علي جبر العساكر و اظهار السياسات سائسا قادرا علي تنفيذ الاحكام

\52a\

و حفظ حدود دار الاسلام و انصاف المظلوم من الظالم اذ لو لم يكن كذلك لم يحصل به العرض الذي نصب الامام لاجله. و لا ينفي الامام بالفسق و الجور لان الفسق و الجور قد انتشر في زمن الصحابة و التابعين رضي الله عنهم و هم صلوا خلفهم و حجوا معهم و لم يروا الخروج عليهم مع قدرتهم و شوكتهم علي ذلك و ان كانوا ظلمة.

و يجوز الصلوة خلف كل بر و فاجر لقوله عليه السلام: "صلوا ---كل بر و فاجر" و قوله عليه السلام: "صلوا خلف كل بر و فاجر" و قوله عليه السلام: "صلوا خلف كل من قال لا اله الا الله". في الخلاصة الا الهواء ان كان من اهل قبلتنا و لم يغل في هواه حتي لم يحكم بكفره تجوز الصلاة خلفه و يكره. و لا تجوز الصلاة خلف لمن ينكر شفاعة النبي عليه السلام و ينكر كرام الكاتبين و عذاب القبر. و كذا من ينكرالرؤية لانه كافر و ان قال لا يري لجلاله و عظمته فهو مبتدع و لا يصلي خلف من ينكر المسح علي الخفين و المشبهة اذ قال ان لله يد و رجلا كما للعباد فهو كافر. و ان قال جسم كالاجسام فهو مبتدع. و الرافضي ان فضل عليا علي غيره فهو مبتدع و ان انكر خلافة الصديق فهو كافر و من انكر المعراج ينظر ان انكر الاسراء من مكة الي بيت المقدس فهو كافر و ان انكر المعراج من بيت المقدس لا يكفر. قال رضي الله عنه: "رايت بخط شمس الائمة الخلواني رحمه الله انه يمنع عن الصلاة خلف من يخوض في علم الكلام و يناظر اهل الاهواء و يكره الاقتداء بمن كان معروفا باكل الربا.

و يصلي علي كل بر و فاجر لقوله عليه السلام: " صلوا علي كل من قال لا اله الا الله"

و نكف عن ذكر الصحابة الا بخير عن عبد الله ابن مغفل قال رسول الله صلي الله عليه و سلم: "الله الله في أصحابي لا تتخذوهم

\52b\

غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله عز وجل ومن آذى الله يوشك أن يأخذه". و سكتوا عن القول فيما كان بينهم من التشاجر و لم يروا في ذلك قادحافيما سبق لهم من الله تعالي من الحسني. و قال عمر بن عبد العزيز و ينقل ايضا عن الشافعي رحمه الله: "تلك دماء طهر الله ايدينا عنها فلا نلوث السنتنا بها". و سئل احمد عن امير علي و عايشة فقال: "تلك امة قد خلت لها ما كسبت و لكم ما كسبتم و لا تسألون عما كانوا يعملون" . في الخلاصة لا ينبغي اللعن علي يزيد و لا علي الحجاج لان النبي عليه السلام نهي عن لعن المصلين و من عن اهل القبلة. قال الامام حجة الاسلام: "فان قيل هل يجوز لعن يزيد لكونه قاتل الحسين او آمر به". قلنا: "هذا مما لم يثبت اصلا فلا يجوز ان يقال قتله او امر به فضلا عن لعنه لانه لا يجوز نسبة مسلم الي كبيرة من غير تحقيق. و من اجترأ علي لعنه و شك في ايمانه و جزم فضل علي عثمان فقد مال الي الرفض.

و نشهد بالجنة للعشرة المبشرة الذين بشرهم النبي صلي الله عليه و سلم بالجنة.

و عن سعيد بن زياد و عبد الرحمن بن عوف ان النبي صلي الله عليه و سلم قال: "ابو بكر في الجنة و عمر في الجنة و عثمان في الجنة و علي في الجنة و طلحة في الجنة و الزبير في الجنة و عبد الرحمن بن عوف في الجنة و سعد بن وقاص في الجنة و سعد بن زيد في الجنة و ابو عبيدة بن الجراح في الجنة" رواه الترميذي و ابن ماجه. و جاء في الخبر: "لعل الله اطلع علي اهل بدر فقال: اعملوا ما شئتمفقد وجبت لكم الجنة". و في رواية: "قد غفرت لكم". و عن حفصة قالت: قال رسول الله صلي الله عليه و سلم: " إِنِّي لأَرْجُو أَنْ لا يَدْخُلَ

\53a\

النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَحَدٌ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ". ثم في رواية ابي داود البدر كانوا ثلثمائة و خمس عشرة و في رواية ان المشركين كانوا الفا و الصحابة ثلثمائة و سبعة عشر. و في المتفق عليه عن جابر قال: "كفا يوم الحديبية الفا و اربعمائة". و روي الترميذي عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه و سلم: "لا تمس النار مسلما رأني او راي من رأني". و روي الطبراني بن بسر "طوبي لمن رأني و آمن بي و طوبي لمن رأي من رأني و لمن رأي من رأي من رأني طوبي لهم و حسن مآب".

و لا نشهد بالجنة و النار باحد

بل الوعيد المطلق في الكافرين و الوعد المطلق في المحسنين.

و المؤمن بين الخوف و الرجاء يرجو فضل الله في غفران الكبائر و يخاف عدله في العقوبة علي الصغائر

و نري المسح علي الخفين في الخضر و السفر و الاخبار التي جاءت فيه قريب من التواتر. و قد سئل انس بن مالك رضي الله عنه عن السنة و الجماعة فقال: "ان تحب الشيخين و لا تطعن في الختنين و تمسح علي الخفين

و لا يحرم نبيذ التمر هذا اذا لم يشتد بحيث يصير مسكرا فان صار مسكرا قالوا الفتوي علي حرمته

و لا يبلغ ولي درجة الانبياء لقوله عليه السلام: "و الله ما طلعت شمس و لا غربت علي احد بعد النبيين افضل من ابي بكر" فهذا يقتضي ان ابا بكر رضي الله عنه افضل من مؤمن ليس نبي و انه دون من هو نبي و هو دليل علي ان الانبياء عليهم السلام افضل من غيرهم.

و لا يصيل العبد ما دام عاقلا و بالغا الي حيث يسقط عنه الامر و النهي. اجمعوا ان ما فرضه الله علي العباد فرض واجب للعقلاء البالغين لا يجوز التخلف عنها بوجه من

\53b\

الوجوه ----- من الناس من صديق و عارف و ان بالغ انهي المراتب و اعلي الدرجات من غير عذر. و العذر ما هو عذر في الشرع و من كان علي رتبة فانه اشد اجتهادًا.

و النصوص يحمل علي ظواهرها ما لم يصرف عنها دليل قطعي. و العدول عنها الي معان يدعيها اهل الباطل الحاد

اي ميل عن الحق و عدول عن الطريق فما اخبر الله من القصور و الحور و الانهار و الاشجار و الاطعمة و الاشربة و عذاب اهل الناس من الزقوم و الحميم و السلاسل و الاغلال حق خلافا للباطنية و الفلاسفة فانهم يؤولون كل واحد منها علي خلاف ظاهره. و ما ذهب اليه اهل التحقيق من كون النصوص علي ظواهرها و مع ذلك ففيها اشارة الي حقايق ينكشف علي ارباب المجاهدات فليس من الالحاد في شيء بل هو كمال العلم و دنو المعرفة. قال الامام الحجة الاسلام: "لا بد لطالب العلم من تقديم طهارة النفس عن رذائل الاخلاق و مذموم الاوصاف. اذ العلم عبادة القلب و صلوة السر و قربة الباطن الي الله تعالي و كما لا تصح الصلوة التي وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث و الاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن و عمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبائث الاخلاق و انجاس الاوصاف". قال صلي الله عليه و آله و اصحابه و سلم: "لا يدخل الملائكة بيتا فيه كلب و القلب بيت هو منزل الملائكة و مهبط اثرهم و محل استقرارهم. و الصفات الردية مثل الغضب و الشهوة و الحقد و الحسد و التكبر و العجب و اخوانها كلاب نايحة فاني يدخله الملائكة و هو مشحون بالكلاب و نور العلم لا يقذفه الله تعالي في القلب الا بواسطة

\54a\

الملائكة و لست اقول المراد بلفظ البيت هو القلب و بالكلب هو الغضب و الصفات المذمومة و لكنني اقول هو تنبيه عليه و فرقه بين تغير الظواهر الي البواطن و بين التنبيه للبواطن مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية لهذه الدقيقة فان هذا طريق الاعتبار و هومسلك العلماء و الابرار اذ معني الاعتبار ان تعبر مما ذكر الي غيره و لا يقتصر عليه.

و رد النصوص بانكار الاحكام القطعية التي عليها دلت الكتاب و السنة و كذا انكار الاجماع القطعي بعد العلم به كفر لانه تكذيب

لله تعالي و لرسوله

و استحلال معصية كفر بعد العلم بكزنها معصية سواء كانت صغيرة او كبيرة و الاستهانة و الاسخفاف بها كفر، بان يعدها هيئة .تسهلة و يرتكبها من غير مبالات كفر

و الاستهزاء علي الشريعة كفر لان كلا منهما من غير امارات التكذيب. في الخلاصة من ابغض العالم من غير سبب ظاهرخيف عليه الكفر. في المحيط: "من جلس علي مكان مرتفع و يسألون منه مسائل بطريق الاستهزاء و يضربونه بالوسايد و هم يضحكون كفروا جميعا". و في الظهرية من قال لرجل: "قم فاذهب الي مجلس العلم" فقال: "من يقدر علي الاتيان بما يقولون" او قال: "حالي و مجلس العلم" كفر. قالوا: "و من قال الآخر " اذهب مع الي الشرع" فقال الآخر: "لا اذهب حتي يأتي بالحضر" كفر لانه عاند الشرع. قيل هذا اذا قال علي طريق المعاندة للشريعة. و اما اذا اراد به تصحيح دعواه ليستحق المطالبة لا يكفر. و في المحيط: "و لو قال اذهب معي الي القاضي" فقال: "لا اذهب لا يكفر". قيل لان الامتناع عن الذهاب الي القاضي لا يوجب الامتناع عن الذهاب

\54b\

الي الشرع اذ بما يكون القاضي لا يحكم بالشرع. و في المحيط: "من قال لفقيه يذكر شيأ من العلم او يروي حديثا صحيحا هذا ليس بشيء" كفر. قال بعضهم: "من قال عند ابتداء شرب الخمر ---------- او اكل الحرام "بسم الله" كفر". قيل ينبغي ان يكون محمولا علي الحرام المتفق عليه و ان يكون عالماً بنسبة التحريم اليه. و قال بعضهم من استخف القران او بالمسجد او نحوه مما ---- .مع الشرع كفر. في الخلاصة من رد حديث قال بعض مشايخنا يكفر و قال المتأخرون: "ان كان متواترا كفر

و اليأس من الله تعالي كفر

"لقول الله تعالي: "لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون

و الامن عذاب الله تعالي كفر

.قال الله تعالي: "فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون" . و قال الانبياء مأمنون لا آمنون بل خائفون من الله اكثر من غيرهم

و تصديق الكاهن بما اخبر عن الغيب كفر

لقول الله تعالي: " قل لا يعلم من في السماوات و الارض الغيب الا الله" و لقوله عليه السلام: "من اتي كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل علي محمد". و المنجم اذا ادعي العلم بالحوادث الآتية فهو مثل الكاهن. و في معناه الرمال. فلا يجوز اتباع المنجم و الرمال و لا اتباع من ادعي الالهام فيما يخبر به عن الهاماته. و المعدوم ليس بشيء "و قد خلقتك من قبل و لم تك شيئا" و لا يمكن تقرر الاشياء منفكة عن صفة الوجود لان الماهيات لو كانت متقررة حال عدمها لكان موجودة حال عدمها. اذ لا معني التقرر الا .الوجود فيلزم كونها موجودة حال كونها معدومة

و في دعاء الاحياء للاموات و صدقاتهم عنهم نفع

هذا بالاتفاق اهل السنة و في القران آيات كثيرة متضمنة علي الدعاء للاموات كقوله تعالي سبحانه: "ربنا اغفر لنا و لاخواننا الذين سبقونا بالايمان" . و عن سعد بن عبادة .

\55a\

انه قال: "يا رسول الله ان ام سعد ماتت فاي صدقة افضل؟ قال: الماء بئرا" و قال: "هذه لام سعد" رواه ابو داود و النساء. و اختلفوا في العبادات البدنية كالصوم و الصلوة و قراءة القران فذهب ابو حنيفة و احمد و جمهور السلف الي وصولها. و ينقل عن الشافعي و مالك رحمة الله عليهما عدم وصولها. قالوا قراءة القران و اهدائها تطوعا بغير اجرة تصل اليه. لو اوصي بان يعطي بشيء من ماله لمن يقرأ القران علي قبره فالوصية باطلة لانه في معني الاجرة. قيل اذا اعطي لمن يقرأ القران و يعلم و يتعلم معونة لاهل القران كان هذا من جنس الصدقة فيجوز. ثم القراءة عند القبور تكره عند ابي حنيفة و مالك لانه محدث لم ترد به السنة. و قال محمد بن

الحسن لا يكره لما ورد عن ابن عمر انه اوصي ان يقرأ علي قبره وقت الدفن بفواتح سةرة البقرة و خواتمها. و ذهب بعض اهل الكلام الي عدم وصول شيء لا الدعاء و غيره و قوله مردود بالكتاب و السنة و اجماع السلف. و استدلاله بقوله تعالي: "و ان ليس للانسان الا ما سعي" مدفوع لانه انما نفي ملكه لغير سعيه و لم ينف اشفاع المؤمن سعي غيره. و بين الامرين فرق. و الكل عليك سعيه فان شاء يبذله لغيره و ان شاء يبقيه لنفسه.

و الله تعالي يجب الدعوات

لقوله تعالي: "ادعوني استجب لكم" . و اختلفوا في الافضل ام ----- ام السكوت و الرضاء فقيل الدعاء اولي لامه عبادة نفسه و هو مطلوب و مأمور بفعله. و قيل السكوة و الجمود تحت جريان الحكم اتم رضاء و لعل الدعاء للامتثال لا ينافي الرضاء بالقضاء. و ذهب الجمهور الي انه لا يستجاب دعاء الكافرين لقوله تعالي: "و ما دعاء

\55b\

الا في ضلال" . و ذهب ابو القاسم الحكيم و ابو النصر الدبوسي الي جواز اجابته. قال الصدر الشهيد و به يفتي. و يؤيده ما روي مرفوعا ان دعوة المظلوم تستجاب و ان كان كافرا.

و يقضي الحاجات لقوله تعالي: "قل الله ينجّيكم منها و من كل كرب"

و ما اخبر النبي عليه الصلاة و السلام من اشراط الساعة من خروج الدجال و دابة الارض و ورد ان طولها ستون ذراعا و لها قوايم و ------- و ريش و جناحان لا يفوتها هارب و لا يدركها طالب. و روي انه عليه السلام سئل من مخرجها فقال: "من اعظم المساجد حرمة علي الله تعالي يعني المسجد الحرام. روي انها تخرج و معها عصي موسي و خاتم سليمان فتنكت بالعصا في المسجد المؤمن نكتة بيضاء فتبيض وجهه و بالخاتم في انف الكافر نكتة سوداء فتسود وجهه.

و يأجوج و مأجوج و نزول عيسي عليه السلام من السماء

روي انه عليه السلام ينزل عند المنارة البيضاء الشرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه علي اجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر و اذا رفعه منه مثل جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد من ريح نفسه الا مات و نفسه ينتهي حيث ينتهي (حيث ينتهي) طرفه فيطلب الدجال حتي يدركه بباب لد فيقتله. و روي اذا رأه عليه السلام عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانذاب حتي يهلك و لكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته. و طلوع الشمس من مغربها فهو حق. و الاخبار في اشراط الساعة مستفيضة منها ما روي عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال: "اطلع النبي عليه الصلاة و السلام علينا و نحن نتذاكر فقال: "ما تذكرون؟" قالوا: "نذكر الساعة". قال: "انها لن تقوم حتي تروا قبلها عشر آيات" فذكر الدخان و الدجال و الدابة و طلوع الشمس من مغربها

\56a\

و نزول عيسي بن مريم و يأجوج و مأجوج و ثلاثة خسوف خسوف بالشرق و خسوف بالمغرب و خسوف بجزيرة العرب و آخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الي محشرهم.

و المجتهد قد يخطئ قد يصيب و ذهب بعضهم الي ان كل مجتهد في المسائل الفرعية مصيب. و بناء هذا علي ان ليس لله حكم معين قبل الاجتهاد بل الحكم فيها ما ادي اليه رأي المجتهد. فعلي هذا يجوز تعدد الاحكام الحقة في حادثة واحدة فيكون كل مجتهد مصيب. و المختار عند علمائنا ان لله حكما معينا في كل حادثة فان وجده المجتهد اصاب و ان فقده اخطأ فلمن اصاب اجران و لمن اخطأ اجر كما ورد في الخبر. و في خبر آخر: "ان احتسب فلك عشر حسنات و ان اخطأت اجر كما ذلك حسنة. قالوا هذا في علم الاحكام رحمة من الله (لان الله) لان النوازل متكثرة و الواقعات مختلفة و بيان كل حكم و واقعة و نازلة مفصلة متعسرة. فلذلك امر اولي الارباب بالاعتبار.

و اما علم التوحيد و ما يتعلق بالاعتقادات فمبينة بالكتاب و السنة. فمن اجتهد و اخطأ فيها فهو مأزور و ليس بمعذور. و اختلفوا

في تكفير من اخطأ فيها فذهب اكثر الفقهاء و طوايف من اهل الكلامالي عدم التكفير ما لم يخالف لضروريات الدين. و ذهب بعض الفقهاء و اهل الحديث الي ان معتقد البدعة كافر و ان كان متأولا. و لا ربما يتمسك الذاهبون الي جواز الخطأ في الاجتهاد بما جري بين داود و سليمان عليهما السلام حيث حكم داود بالغنم لصاحب الحرث و بالحرث لصاحب الغنم. و حكم سليمان بان يكون الغنم لصاحب الحرث ينقطع بها و يقوم صاحب الغنم علي الحرث حتي يرجع كما كان. فيرجع كل واحد الي ملكه. قالوا حكم داود كان بالاجتهاد دون الوحي و الا لما جاز سليمان خلافه و لا لداود الرجوع

\56b\

عنه. فلو كان كل من الاجتهادين حقا لم يكن لتخصيص سليمان بالفهم بقوله سبحانه: "ففهمناها سليمان" وجه. و الضمير في الآية راجعة الي حكومة. و من ههنا ذهبوا الي جواز الاجتهاد للانبياء عليهم السلام و تجويز وقوعهم في الخطأ. لكن شرط ان ينتبهوا حتي ينتهوا.

و رسل البشر افضل من رسل الملائكة و رسل الملائكة افضل من عامة البشر و عامة البشر افضل من عامة الملائكة. لان طاعة البشر اشق اذ الشهوة و الغضب و الحرص و الهوي من اعظم الموانع عن الطاعة. و هذه الصفات موجودة في البشر مفقودة في الملك. و الفعل مع المانع اشق منه من غير مانع. و الاشق افضل لقوله صلي الله عليه و سلم: "افضل الاعمال احمزها" اي اشقها علي البدن. و قوله صلي الله عليه و سلم لعايشة رضي الله عنها: "انما اجرك علي قدر تعبك و نصبك". و لان الملائكة لهم عقول بلا شهوة و البهايم لها شهوة بلا عقل و الآدمي له عقل و شهوة. ثم الآدمي اذا غلبت شهوة علي عقله كان احسن من البهايم. قال الله تعالي: "اولئك كالانعام بل هم اضل" . فعلي هذا لو غلب عقله علي شهوته وجب ان يكون افضل الملائكة. و فضيلة رسل الملائكة علي عامة البشر اذا الرسول افضل من غير المرسول قطعا. و ايضا لا يدرك دقايق الفضل و الترتيب فيه الا المشاهدون للوحي و الترتيل بتعريف الاحوال فلو لا فهمهم ذلك كذلك لما رتبوا كذلك. سبحان ربنا عما يصفه الغافلون و سلام علي المرسلين و الحمد لله رب العالمين اتممت اتماما.

قد وقع الفراغ من تسويد هذه الشريفة التي الفها ابو النصر عبد النصير ابن ابراهيم القزاني البلغاري بيد افقر عباد الله عبد الخالق ابن احتم ابن سيارعيل ابن شريف للاوفي في يوم الاثنين في السنة الف و مأتي و سبعة و ثلاثين من هجرة النبي صلي الله عليه و سلم و آله و اصحابه اجمعين